مواطن من مصر

عمرو البيومي

مواطن من مصر / قصص

عمرو بيومي

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة : ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

تدقيق لغوي :

محمد أبو عوف

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٥٧٥

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٤٢٢- ٣

مواطن من مصر

قصص

عمرو البيومي

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

إلى روح أبي رحمه الله

أهديه أول أعمالي



أكثر الأكاذيب شيوعًا هي الأكاذيب التي نوجهها لأنفسنا أن تكذب على الآخر فهذه حالة نادرة مقارنة بكذبنا على أنفسنا.

فريدريك نيتشه – فيلسوف و شاعر ألماني

قرية كفر الحلاليف

قرية كفر الحلاليف قرية مصرية تقع في بقعة ما في غـــرب الدلتا ، تعداد سكانها يتعدى العشرة آلاف نسمة بقليل ،هـــي قرية عادية كأغلب قرى مصر، فالبيوت طابق واحد أو طابقان على أقصى تقدير البعض منها مطلي بطـــلاء فـــاقع اللـــون ، والبعض الآخر غير مطلي من الأساس ، و الفلاحون هناك على فقرهم و تواضعهم إلا أن الابتسامة لا تفارق وجوههم السمراء المصرية الأصيلة، و الطرق طينية غير ممهدة ، إلا مدخل القريـــة الذي تقع به نقطة الشرطة،و الوحدة الصحية الفقيرة البائسة ، والذي يبلغ طوله نصف كيلو متر ، فهو مرصوف ، بفـــضل الجهود الذاتية لأبناء القرية، كما تكثر الماشـــية و الـــدواب في القرية ، فتأكل و ترعى في سلام مع البط الذي يسبح في ميـــاه المصرف في غبطة و سرور ، كل شئ إذن في كفر الحلاليـــف يبدو اعتياديًا، لكن الشئ الغير عادي هو اسم القرية ، كفـــر الحلاليف، ويرجع اسم القرية العجيب لقبل خمـــسين عامًـــا ، عندما كان عم عوض بشاي — وهو أحد أبنـــاء القريـــة — ، يعمل في تجارة تربية و بيع الخنازير، و لما كانت القرية حينذاك صغيرة ،ولم تتسع رقعتها بعد و تتبع إحدى القرى بجوارهـــا ، وعدد أفرادها معروفون، كان القادم للقرية لقضاء حاجة يعرفها بقرية كفر الحلاليف وذلك نسبة لخنازير عم عـــوض بـــشاي الذي يقوم بتربيتها و بيعها ، فالبسطاء يطلقون على الخنـــازير

لفظ الحلاليف،ومع توالي الأيام ،وتعاقب السنون التصق ذلـــك الاسم بالقرية ، و عرفت بقرية كفر الحلاليف ، رغم وفاة عم عوض بشاي منذ سنوات طوال، وعدم وجود خنزير واحد في القرية ، و مع اتساع رقعة القرية ، و تزايد عدد سكانها ، قرر المركز الذي تتبع له القرية أن يطلق عليها اسم ، فلم يجد إلا أن يطلق عليها قرية الحلاليف بحسب ما كانت تعرف و تشتهر به القرية ، و هكذا ظهر هذا المسمى المنفر للنور ليصبح من وقتها اسم القرية رسميًا قرية كفر الحلاليف .

و فجأة ، و بعد سبات ونوم عميق من تاريخ تسمية القرية، اكتشف الأهالي أن اسم قريتهم موضع سخرية و تنـــدر مـــن القرى المجـــاورة ، كمـــا أنـــه يـــثير مـــشاعر الامتعـــاض ، والاشمئزاز عندما يتم ذكره في أي حديث ، لذلك انبثقـــت في يوم ما في ذهن بعض من رجال القرية ، وهم بمجلس الـــسمر بعد الغروب فكرة تغيير اسم القرية ،واستبداله باسم آخر بعدما اكتوت القرية طوال عقود طوال بنار ذلـــك الاســـم الحقـــير المهين،الذي اختاره بغباء و قريحة بلهاء حمقاء ، مسئولو الوحدة المحلية للمركز الذي تتبع له القرية ، جالبًـــا لهـــم منغـــصات ومتاعب نفسية لا تذكر .

و في تلك الليلة عقد الرجال العزم على مخاطبة المـــسئولين بذلك الشأن،ولم يجد رجال القرية بعد بحث وتـــدبر عميـــق حكيم سوى تكليف الدكتور أحمد سطوحي – ألمع مـــواطني

القرية -،و الذي يعمل كفني معمل بأحد مصانع الألبان بالقيام بهذه المهمة .

وبالفعل ، ذهب وفد مختار من أبرز سكان القريـــة لمـــترل الدكتور أحمد سطوحي ، و قاموا بعرض المشكلة علية ، فأبدى الرجل من الاهتمام ما فاق حجم توقعاتهم ، بل إنه تعهد بأنـــه لن يترك ذلك الموضوع إلا و اسم القرية البغيض تم اســـتبداله باسم آخر ، و اتفقوا في ذلك اليوم علي إحلال اسم المرحـــوم الشيخ عبد الظاهر الدمنهوري ، من علماء الأزهر الـــشريف ، وأحد أبناء القرية الكبار الأجلاء مكان اســـم القريـــة الحـــالي القبيح.

و كادت الدموع تفيض من عين الدكتور أحمد سطوحي ، وهو يشاهد عم عبادة و هو واحد من الرجال الـــذين قـــاموا بمقابلته ، يربت على كتفيه في رفق ، و يقول له بلهجة تحمـــل الحزم :

- آمال أكثر من عشرة آلاف من سكان القرية بين يديك الآن يا بني ..!!

ومدفوعًا بآمال و تطلعات رجال القرية ، بدأ الدكتور أحمد سطوحي مهمته التي تم تكليفه بها، و بدأ أولى الخطوات بأن قام بكتابة مذكرة ذات أسلوب رصين بليغ عرض فيها المـــشكلة

بالتفصيل، كما قام بعرض أمثلة للآلام النفسية ،و العصبية، والغمز،و اللمز،و التقريع، الذي يتعرض له مواطني القرية من القرى المجاورة بسبب اسم القرية المنفر ، و الذي تم اختياره بكل سوء ، و بكل جهل ، و في الأسطر الأخيرة ، لم ينس الدكتور سطوحي أن يكتب الاسم الجديد المقترح للقرية — الشيخ عبد الظاهر الدمنهوري — و لكنه في الوقت نفسه ، وحتى يقوم بتفويت الفرصة على مسئولي المجلس الشعبي المحلي للمركز على عدم موافقتهم على اسم القرية المقترح ، و تعطيل تغيير اسم القرية في أسلوب بيروقراطي بغيض ، قام بكتابة تلك الجملة "" أو أي اسم مناسب تقوموا سيادتكم باختياره "" .

و لم ينس الدكتور سطوحي أن يقوم بجمع توقيعات المئات من مواطني القرية في المذكرة ، كدليل دامغ بين علي صدق المذكرة ، و أرسلت المذكرة بالفعل للمجلس الشعبي المحلي للمركز الذي تقع به القرية ،ومر أسبوعان،وذهب الدكتور أحمد سطوحي ليتقصى عن مصير مذكرته ، و لما سأل عنها ، فوجئ بأن طلبة مرفوض شكلاً و موضوعًا ، وبصعوبة بالغة دخل مكتب رئيس المركز للاستفسار عن أسباب رفض المذكرة بتغيير اسم القرية ، و قابل رئيس المركز، وسأله عن أسباب رفض المذكرة ، فقال له رئيس المركز — وكان شخصًا فظًا متعجرفًا - ، في لهجة تحمل البرود والتهكم:

– هل انتهت يا محترم مشكلات قريتكم و مشكلات قرى و مدن و محافظات مصر كلها حتى تأتيني بطلب غريب الشكل لتغيير اسم قريتكم أي نوع من أنواع التهريج هذا ؟

أفحمت إجابة رئيس المركز الدكتور أحمد سطوحي كلية ، لا لشئ إلا لغبائها فقط ، و عدم وجود سبب مقنع للرفض ، ورغم أنه حاول معه مرارًا و تكرارًا أن يقنعه بشتى الأساليب أن تغيير اسم القرية هو مطلب عادل لاسم منفر يصيب الجميع بالاشمئزاز ، إلا أن الرجل رئيس المركز تشبث برأيه تمامًا ورفض أية محاولات من الدكتور سطوحي لإثناءه عن قراره .

أصيب الدكتور سطوحي بصدمة كبيرة ، و عاد لقريته يجر أذيال الخيبة وراءه ، لكن بعد ما اجتمع برجال القرية ، و قص عليهم ما حدث، قاموا بتطييب خاطره ، و شحنوا عزيمته مرة أخرى ، ليكتب في الليل مذكرة أخرى وجهها هذه المرة للسيد المحافظ ، كتب فيها نفس مضمون المذكرة الأولى ، ودعمها تلك المرة بما حدث من رئيس المركز،ثم سافر في الصباح الباكر ، حاملاً المذكرة ، متوجهًا بها لديوان عام المحافظة ، و مقابلة المحافظ شخصيًا و عرض المذكرة عليه ، ولكنه لم يفلح في مقابلة السيد المحافظ لجدول مهامه المزدحم ، فقط قابل السكرتير العام ، الذي وعده وعدًا صادقًا بأن يقوم

بتقديم المذكرة للسيد المحافظ في أقرب فرصة ممكنة ثم قال له أن يمر علية بعد أسبوع يكون سيادة المحافظ قرأ المـــذكرة و بـــت بالموافقة فيها بإذن الله تعالى .

ومر الأسبوع،وذهب الدكتور أحمد سطوحي لمبنى ديـــوان عام المحافظة حسب الموعد ، ليجد المفاجأة تنتظره ، إذ جاء رد السيد المحافظ بالرفض، و برر ذلك بأنة يدعم المركزية في اتخاذ القرارات ، ومادامت رئاسة المركز الذي تتبع له القريـــة قـــد رفضت الطلب فبالتالي المذكرة مرفوضة بشكل تلقائي .

لكن من العجيب أن رفض المحافظ لم يحبط الدكتور أحمـــد هذه المرة أو يضعف عزيمته ، بل على النقيض ، فمع خروجـــه من مكتب السكرتير العام للمحافظة بغضب و ثورة نارية كان في نفس الوقت لديه إصرار و طموح عظيم على تغـــيير اســـم القرية مهما كانت الصعاب و المعوقات البيروقراطية الحكومية.

فعاد لقريته مرة أخرى ، و هناك في منزلة ، كتب مـــذكرة ثالثة ، بنفس مضمون ما سبقها مع إضافة ما تعـــرض لـــه في مكتب رئيس المركز والمحافظ من عدم اكتراث، ولا مبـــالاة ، وظلم في الموافقة على مطلب شعبي جماهيري بسيط ، بـــدون مبررات مقنعة ، ووجه مذكرته هذة المرة للسيد رئيس مجلـــس الوزراء شخصيًا .

وقرر أن يتوجه للقاهرة بنفسه حاملاً المـــذكرة و مقابلـــة السيد رئيس مجلس الوزراء شخصيًا، وعرض المذكرة عليـــه ،

وعندما توجه لرئاسة مجلس الوزراء ، طلب مقابلة رئيس مجلس الوزراء لأمر هام ، و لم تكن مقابلة رئيس مجلس الوزراء بهذه الدرجة من اليسر ، ففي البداية جلس مع أحد كبار موظفي رئاسة مجلس الوزراء ، وحاول الرجل أن يستفسر من الدكتور أحمد سطوحي عن الأسباب التي تدعوه لمقابلة رئيس الوزراء بصفته الشخصية ، و لما أخبره الدكتور سطوحي بالمشكلة برمتها و ناوله المذكرة ليقرئها ، لم يتمالك الرجل نفسه ، وابتسم ابتسامة تحمل معنى التهكم ، لكنه مع ذلك ، وعد الدكتور سطوحي بأن يقدم المذكرة لسيادة مدير مكتب السيد رئيس مجلس الوزراء ليعرضها علية في أقرب وقت ممكن وطلب منه أن يأتي بعد شهر .

وعاد الدكتور سطوحي لقريته غارقًا في الأمنيات اللذيذة بقرب انفراج المشكلة ، و لم ينس أن يطمئن أهالي القرية بأن المذكرة سوف يطلع عليها رئيس مجلس الوزراء شخصيًا و يبت فيها بالموافقة ، و عند ذلك انهالت الدعوات المباركة من أهل القرية للدكتور أحمد سطوحي بالعمر المديد ، و السلامة ، والتوفيق في خطواته .

ومر شهر ، وسافر الدكتور سطوحي للقاهرة مستفسرًا عن مصير مذكرته ، وكانت الصدمة ، فالسيد رئيس مجلس الوزراء كتب بخط كالرموز ، يتشابه مع خط تلاميذ الابتدائي أسفل المذكرة جملة :

"" تحول المذكرة للسيد المحافظ للبت فيها ، مع الشكر ""

انهارت معنويات، وحماس الدكتور سطوحي لدون الصفر، وتشبع باليأس و الإحباط ، فقد كان يري في السيد رئيس مجلس الوزراء بارقة الأمل الأخير في حل المشكلة و تغيير اسم القرية ، لكن فيما يبدو أنه لم يقرأ المذكرة في إمعان ، لأنه لو كان فعل لكان فهم أن المحافظ نفسه رفض الطلب .

وهكذا عاد من العاصمة للقرية في ألم و كمد واضحان، وقص هناك على الرجال المعنيين بالأمر ما حدث ، فانتقلت مشاعر الإحباط ، و اليأس منه إليهم ، و قال أحدهم في مرارة و هم في مجلس السمر عند أفول قرص الشمس الناري :

– ليس هناك أمل ، كتب علينا اسم قريتنا البغيض حتى يوم الدين ..!!

و قال آخر في استياء :

– ليس هناك نصيب ..!!

و في حدة امتزجت بغضب هتف احدهم :

– و الله إنها حكومة م......!!!!!!

و أمطر الرجل الحكومة بوابل من السباب الخارج الجارح شديد البذاءة ، ثم بصق على الأرض في عصبية بالغة ، ثم

مسح فمه بطرف كمه ، حتى تكلم الدكتور سطوحي للمـــرة الأولى و قال :

– لم ينقطع الأمل بعد يا رجال ، هناك شخص واحد قادر على إحداث المعجزة ...!!

– من .. من ؟ من هو ..؟ المحافظ ، و رئيس مجلس الوزراء بجلال قدرهما ، لم يوافقا على المذكرة ، فمن تتعـــشم فيـــه أن يوافق ؟ رئيس الجمهورية ؟

– هو بالفعل ؟

قالها الدكتور أحمد سطوحي في لهجة تحمل الحزم ، فاتسعت العيون في دهشة بالغة ، و أخذ الرجـــال في النظـــر لبعـــضهم البعض ، حتى استطرد الدكتور أحمد قائلاً :

– لو قدمت المذكرة للرئيس ، وأسهبت في وصـــف مـــا حدث ، لمجرد إننا نريد تغيير اسم قريتنا ، فانا على يقين إنهـــا ستلقى مصير ما سبقها من مذكرات ، وســـتحول للجهـــات المختصة و التي بدورها رفضت المذكرة من قبل .

– إذن ماذا ستفعل ..؟

سأله أحد الرجال مستفسرًا ، فأجابه الدكتور أحمد قائلاً :

– جاءتني فكرة أتعشم أن تكلل بالنجاح و التوفيق ..!!

و لم ينبس بكلمة بعد ذلك ، و ترك الدكتور أحمد رجـــال القرية في حيرة حول مضمون هذه الفكرة التي سوف تغير اسم القرية ، و مرت أيام ، و الدكتور احمد يتابع أخبار و أنـــشطة السيد رئيس الجمهورية ، حتى قرأ في أحد الجرائد الصباحية ، أن الرئيس سوف يقوم في الغد بافتتاح أحـــد محطـــات الميـــاه العملاقة بالمقطم ، فأيقن أن الفرصة قد سنحت أمامه لعـــرض مشكلة القرية على السيد الرئيس ، فأعد نفسه للسفر للقـــاهرة في الغد، و جاء يوم الغد ، فارتدى الدكتور أحمد أكثر البـــدل أناقة في دولاب الملابس الخاص به ، و استقل السيارة الأجـــرة المتجهة للقاهرة ، و في الطريق للعاصمة ، نمـــت و ترعرعـــت أحلامه ، و تخيل الدكتور أحمد سيادة الـــرئيس يـــصافحه في حرارة بالغة ، و يستمع لمشكلته في اهتمام بـــالغ كـــأي أب حنون، ثم بعد ذلك يأمر رئيس الوزراء بتغيير اسم القرية علـــى الفور ، بعد أن يقوم بتوبيخه على عدم الاســـتجابة الفوريـــة لمطلب شعبي بسيط ..!!! ثم تخيل نفسه و قد عـــاد للقريـــة ، فيستقبله الجميع من رجال ، و نـــساء ، و أطفـــال اســـتقبال الفاتحين و المنتصرين .

ووصل لموقع محطة المياه الجديدة العملاقة ، ووقتذاك لم يكن الرئيس وصل بعد ، فوقف علي مقربة من محطة المياه في انتظار موكب الرئيس ، وفي قرارة نفسه تختلط مشاعر عدة ، تنوعت بين الترقب ، و القلق ، و الاضطراب ، و النشوة ، و لاحـــت

طلائع الموكب من بعيد ، وبدء في الاقتراب رويدًا نحو محطة المياه ، و تسابق مصورو الصحف في التقاط الصور للموكب ، كما بدأ مراسلو القنوات الفضائية المصرية في الاستعداد لبث لحظة نزول الرئيس من السيارة على الهواء مباشرة ، وقصه لشريط افتتاح المحطة وبدء تشغيلها الفعلي،وتوقفت سيارة الرئيس أمام المحطة ، فهرول الدكتور أحمد سطوحي نحو الرئيس يهتف باسمة ، ويلوح بالمذكرة ،ورغم ارتفاع صوته ، إلا أنه ضاع وسط التصفيق الحاد من جانب الحضور و الإعلاميين وسيادة الرئيس يقوم بقص الشريط ، لكنه ما كاد يقترب بضع أمتار أخرى ، حتى أطبق علية ثلاث رجال يرتدون بدل سوداء لا يعرف من أين ظهروا ،حاصروه ثلاثتهم ، ثم اقتادوه قسرًا وهو يصرخ في ذعر إلى داخل احدي العربات السوداء ، التي لم تلبث حتى انطلقت بالدكتور أحمد سطوحي في سرعة لجهة غير معلومة ، بينما اجتاحت نفس الدكتور أحمد مشاعر التوتر، والذعر ، و الخوف ، والسيارة تنطلق به في سرعة ، و بدا في حيرة و هو يتفرس في ملامح الرجلين اللذين يجلس وسطهما والتي كانت آية في البرود و التجهم و الاكفهرار ، فحاول أن يستفسر منهم و يستوضح لماذا تم القبض عليه على هذا النحو، وما هي جريمته ، لكن يبدو أن الرجل الذي يجلس على يمينه لم يتحمل أسئلة الدكتور أحمد و تضجر منها ، فكور قبضة يده ،

و لكمه لكمة قوية ، شعر الدكتور سطوحي بالدوار من أثـــر قوتها ، ثم لم يلبث قليلاً ، حتى سقط رأسه على صدره و فقـــد وعيه تماماً .

ساعات قضاها الدكتور أحمد سطوحي في جهاز مباحـــث امن الدولة خاضعًا لاستجوابات و تحقيقات طويلة ، و مكثفة حول الأسباب التي جعلته يحـــاول الاقتـــراب مـــن رئـــيس الجمهورية، وعبثًا حاول أن يقنعهم بأنة كان يود أن يعـــرض مشكلة القرية علية ، لأنة الوحيد الذي يملك القـــدرة علـــى حلها، و استشهد بالمذكرة التي كانت بحوزته ، لكن فيما يبدو أنهم – أي المكلفون باستجوابه - لم يقتنعوا بكلامـــه بالقـــدر الكافي ، و في النهاية حدث أمر عجيب ، إذ تقرر نقل الدكتور أحمد سطوحي لمستشفى الأمراض العقلية لبيان مدي ســـلامة قواه العقلية من عدمه .....!!!!

و تطايرت الأنباء المثيرة المفجعة للقرية ، فاستشاط أهلـــها غضبًا ، وباتت نفوسهم كبركان ثائر ، وقرر الكبـــار منـــهم الوقوف بجانب الدكتور أحمد في محنته ، ومصابه الجلل ، لأنـــه فعل ما فعل من اجل نصرة قضية قريتهم ، فسافر المئات منهم بعربات إلى عاصمة المحافظة ، و تجمهروا بالمئات أمـــام مـــبنى ديوان عام المحافظة مطلقين هتافات تطالب بالإفراج الفوري عن الدكتور أحمد سطوحي دون قيد أو شرط ، و لأن المحافظ كان رجلاً عسكريًا متمرسًا ، فقد قرر أن يعالج الأمر بكل حـــسم

وقوه حتي لا تخرج الأمور عن نطاق السيطرة ، لـــذلك فقـــد نزلت قوات الأمـــن المركـــزي مدعومـــة بكبـــار الـــضباط للمتظاهرين، وضربت بالعصي بضع أشخاص منهم ، فأصابت الفوضى الجمع الغفير ، و تفرقوا و فـــروا في ذعـــر و فـــزع بجراحهم ، تلاحقهم عصي أفراد الأمن المركزي .

وفي الليل طوق الأمن المركزي القرية و أحكـــم حـــصاره عليها ، وتم حظر التجوال تمامًا ، منعًـــا لحـــدوث انتفاضـــة وشغب من الأهالي كإجراء انتقامي لما حدث في الـــصباح ، واستمر فرض الطوق و الحصار الأمني لثلاث ليال متواصـــلة ، حتى أنهت قوات الأمن المركزي حصارها ، و تراجعت لثكناتها منتصرة فائزة .. والآن، وبعد كل هـــذه الأحـــداث المـــثيرة المتلاحقة في قرية ككفر الحلاليف، تناسى الجميع الدكتور أحمد سطوحي،حتي أن مجرد ذكر اسمه أصبح من الأمور المحرمـــة في القرية ، فيقال في ذلك أن هناك عيون لمباحث أمن الدولة تلقي القبض على من يذكر اسم الدكتور أحمد سطوحي و تلقي بـــه في عالم جهاز مباحث أمن الدولة المخيف،يقال ذلك لا أحـــد يعرف أو يجزم بصحة هذا الأمر ، ثم مع مرور الوقت عـــادت القرية مرة أخرى لحياتها الطبيعية و الرتيبة و كأن شيئًا لم يكن، ولم يتغير الاسم رغم محاولة الدكتور أحمد سطوحي التاريخيـــة الباسلة و التي ستصبح كسيرة شعبية بمرور الزمن،وسيظل اسم القرية كما هو الكفر .. كفر الحلاليف .

ملاكي الحارس



قد يسأل أحدكم لماذا اكتب تلك القصة ..؟ لماذا استرجع تلك الذكريات الأليمة التي عصفت بي وتركت جرحـــا في لم يندمل ، حتى وقت كتابتي لتلك السطور ..؟ الجواب ، هو إنني أريد لمن قد يقرأ قصتي هذه في يوم من الأيام — هذا إن قرأهـــا أحد — أن يعرف أنه كيف للمرء أن لا يشعر بقيمـــة الـــشئ الذي بين يديه إلا إذا فقده ، لن أخوض بتفـــصيلات فلـــسفية متعمقة المعان حول ذلك الموضوع ، فقط ، سأروي لكم قصتي بالتفصيل ، القصة ترجع لقبل خمس سنوات ، كنت حينـــذاك طالبة بالسنة الأولى بكلية التجارة، كنت أتمتع بجمال و حـــسن باهر، فائق لا تخطئ العين رؤيته، و لذلك كنت محط إعجـــاب الكثير من زملاء الدراسة بالكلية من الشباب، و محـــط غـــيرة الكثيرات من زميلاتي أيضًا ، فلا وجه يدعو للدهـــشة إذا رآني أحد في يوم من الأيام ، و أنا محاطة بزملائي مـــن الـــشباب ، نتبادل النكات سويًا ، و نضحك على كل شئ ، و أي شئ ، كان كل واحد منهم ، يحاول جذب انتباهي لـــه ، بكلمـــة ، بنظرة ، بابتسامة ذات مغزى، و الواقع أن ذلك كان يرضـــيني من داخلي لحد عظيم ، فكم هو رائع ذلك الإحساس بـــالتميز وسط الآخرين،وعلى الرغم من أن نسبة كبيرة من زملائـــي ، كانوا على قدر كبير من الوسامة،و اللباقة ،و التفوق الدراسي، و الكثير من الصفات الحميدة الأخري ، إلا أنهم أجمعـــين ، لم

يستطيعوا جذب انتباهي، و لم أشعر بأحـــدهم يحتـــل قلـــبي ، وأنجذب إليه في تلقائية ، حتى ذات يوم ، جاء حاتم كامــل ، وحاتم كامل هذا جاء إلينا منقولاً من جامعة أخـــرى لكـــي يستكمل دراسته في جامعتنا ، كان حاتم شاب عصري بكل ما تتضمن الكلمة و تحتوي من معان ، فملابسه كانت تسير دومًا جنبًا إلى جنب مع ملابس نجوم الـــسينما الـــذين أشـــاهدهم بالأفلام السينمائية ، أضف لـــذلك وســـامته ، و جاذبيتـــه ، وحيويته ، ومرحه و ثرائه ، باختصار كان حاتم كامـــل هـــو فارس أحلام كل الفتيات، لذلك فلا وجه للعجب في كـــوني انجذبت إليه من أول مرة انضم فيها لمجموعتنا ، و تحدث معي ، كان هو الطراز الذي يستهويني من الرجـــال و الـــذي طالمـــا حلمت به و تمنيته ، سوف أترك الحديث عـــن حـــاتم قلـــيلاً و أكتب لكم عن أحمد فهمي ، وأحمد فهمي زميل لي بكليـــة التجارة أيضًا،وهو شاب كأي شاب من ملايين الشباب الذين أشاهدهم يوميًا ، فلا يتميز بأي شئ ، فلا هو وسيم الملامح ، أو ذو شخصية جذابة ، ساحرة ، لبقة ، باختصار أحمد فهمي شاب كلاسيكي ، لا يستطع أن يجذب أي فتاة نحوه ، يكـــاد يكون الشئ الوحيد الذي يمتاز به – إضافة لحـــسن أخلاقـــه و أدبه الجم – تفوقه الدراسي ، فأحمد كان مـــن النجبـــاء ، المتفوقين في كليتنا ، فعندما ظهرت نتيجة الفـــصل الدراســـي

الأول من السنة الأولى ، اكتسح الجميع ، وحصل على تقدير جيد جدًا في جميع مواد الدراسة ، و الواقع أن أحمد حاول أن يتقرب مني ، و يتحدث معي بقدر ما يسمح له خجله ، كانت له جملته الشهيرة ، التي يقولها لي كل صباح بساحة الكلية :

– صباح الخير يا آنسة مي .

و كنت أجيبه بجملة مقتضبة للغاية :

– صباح الخير .

كان على الدوام يحاول أن يتجاذب أطراف الحديث معـــي بشتى الطرق،وسط ارتباكه،وخجله،وعينه التي تحدق في الأرض دائمًا ، هربًا في خجل من تسديدي للنظر إليه ، فكان يقـــول لي: كيف يسير مـــستوى تحـــصيلك الدراســـي ..؟ موعـــد الامتحانات بدأ في الاقتراب .

– الحمد لله .

كالعادة ، أجيبه في حدود السؤال فقط بفظاظة غير مبررة ، و الأشد مرارة من ذلك ، أنني كنت لا أسمح له بالاسترسال في كلامه أكثر من ذلك،كنت أستأذن ، و أتركه لأذهب لزملائي الآخرين، أما هو فكان يذهب للمدرج ، لينخرط مع زملائـــه القلائل ، كان أحمد أيضًا لمن لا يعرف منكم من جيراني بمنطقة

سكني ، كنت أراه دائمًا يستقل معي ذات الحافلة التي أستقلها للعودة للمترل،أذكر مرة ، أن حاتم الـــذي كـــان في أوقـــات كثيرة، يقوم بإيصالي بالقرب من مترلي لم يأتِ للكلية في أحـــد الأيام ، مما جعلني أستقل الحافلة كما كنت أفعل في الـــسابق ، ولحظي العاثر ،لم أعثر على نقود في حقيبتي، يبدو أن النقـــود سقطت مني أو نسيتها في المترل، أو أي شئ من هذا القبيـــل، وشعرت بحرج بالغ، و الكمساري يقف أمامي منتظـــرًا ثمـــن التذكرة وسط ارتباكي و توتري العارم ، حتى فوجئت بصوت مألوف يأتي من الخلف قائلاً :

– تذكرة الآنسة عندي ..!!

كان هو أحمد .. أحمد فهمي، أعطاني وجـــوده في ذلـــك الوقت إحساسًا بأنه ملاكي الحارس ، و لما وصـــلت الحافلـــة لمحطتي التي أنزل فيها ، و قبل أن أنزل ، قلت له و أنا أبتسم في بساطة :

– أشكرك يا أحمد .

– العفو يا آنسة مي ، إنه واجب .

قال لي ذلك، ثم نزلت من الحافلة ،و نسيت أمره في الحال، حتى إنني لم أشكره مرة أخرى عندما قابلته في اليوم التالي ، و لم تكن هذه أول مرة يدفع فيها أحمد ثمن التذكرة عـــني، فقـــد سبقها مرات عديدة ، كان يدفعها بنفس راضية ، صافية حبًـــا

في،و أيضًا بدافع الشهامة كرجل شرقي،ومرت الأيام في الكلية في سرعة، وأحمد يحاول دون ممل أو يأس التقرب مني، حتى فوجئت به ذات يوم ، يطلب مقابلتي على انفراد، فتركت زملائي ،وفي أحد الأماكن الهادئة في الكلية قال لي في جدية :

– آنسة مي ، لو تقدمت لخطبتك من أهلك هل ستوافقين؟

صدمني سؤاله لأنني لم أتوقعه،و لم أستطع إجابته في الحين، ثم تابع :

– أنا يا آنسة مي ينتظرني مستقبل جيد إن شاء الله ، بالتأكيد تعرفين تقديري العام في السنوات الثلاث الماضية وهو جيد جدًا ، و هذا التقدير يتيح لي لو شاء الله أن أصبح معيداً في الكلية بكل سهولة و يسر ، و أنا والحمد لله من أسرة ميسورة الحال،لذلك من الممكن أن نتزوج و لكن في شقة بسيطة و متواضعة لكن مع الحب ، و الإيمان، و الكفاح سيتغير الوضع للأفضل، و أعاهدك أمام الله على أنك سوف تكوني سعيدة معي حتى آخر العمر .

كان يحدثني و هو يكاد يستعطفني في حب صادق ، أن أوافق ، لكن بعد ما زال ارتباكي من صدمة السؤال، وحتى أنهي الموضوع ، قلت له بنبرات باردة :

– أحمد،لا أنكر أنني أحترمك وأقدرك، لكن الحقيقة لا أشعر تجاهك بأي شئ ، باختصار لا أحبك ، أأسف لو

صارحتك بهذا ، لكن المصارحة أفضل من أن أضللك ، ثم أي كفاح الذي تتكلم عنه ، ألا ترى الدنيا و العالم من حولك..؟، اليوم يوم المال يا أحمد ، معك مال تساوي الكثير ، ليس معك مالاً لا تساوي شئ .

– أترجاكي يا آنسة مي أريد منك الموافقة،لو تريدين فرصة للتفكير أنا أوافق ، آنسة مي وافقي ،وأعاهدك أنك سوف تكوني فخورة بي يومًا ما .

قال لي كلمته الأخيرة ، والدموع تكاد تغرق عينه،إلا أنني ورغم أنه قد مس قلبي ضعفه و أحسست نحوه بالإشفاق ، وهو يترجاني و يستعطفني بحديثه ، سحقت قلبي ، و مشاعري تحت حذائي، وتابعت بنفس النبرات الباردة و التي امتزجت فيها القسوة :

– أرجوك ، ليس هناك داع لهذا الكلام ، الموضوع انتهى بالنسبة لي .

و مع آخر حروف كلماتي ، انسحبت من أمامه بكل سرعة، وبكل وقاحة ، نعم وقاحة ، هذة هي الكلمة الوحيدة التي تتناسب وتنطبق على ما فعلته به ، لقد جرحته في هذا اليوم جرحًا غائرًا ، ترى كيف كان شعوره و إحساسه بعدما سمع كلامي الفظ، القاسي ، البارد ، الخالي من أي من صنوف

اللباقة و الأدب ، يومها لم أحفل بما حدث ،وألقيت لقائي معه وراء ظهري تمامًا،حتى لم أكترث وأنا أراه يخرج من الكليـــة ، وهو يسير بجوار الحائط مطأطئ الرأس ، ذليلاً ، محبطًا يحـــاول أن يخفي انكسارة ، وحزنه عن الجميع ، وكان هذا اليوم هـــو آخر يوم ألتقي فية بأحمد ، وكعادتي القبيحـــة ، لم أكتـــرث ، فقط ضاعفت من اهتمامي بحاتم ،وحاولت بشتى الطـــرق أن أجعله لي وحدي و كالخاتم في إصبعي،كان حاتم هـــو فـــارس أحلامي المختار بكل يقين ، كنت أحلم حينذاك بالارتباط به ، وبالفعل أصبحت أنا و حاتم أشهر ثنائي في الكلية ، نأتي مـــع بعضنا البعض و كذلك نغادر سويًا لنذهب بعدها لمكان هادئ نتكلم فيه سويًا ، و شارفت السنة الدراسية علـــى الانتـــهاء ، وكانت الأخيرة بالكلية ، و لم أجد بدًا مـــن التلمـــيح لحـــاتم بموضوع الزواج،و مفاتحته فيه ، و لذلك و في أحد جلـــساتنا سويًا في مكان ما هادئ ، بعد انتهاء المحاضرات ، قلت لـــه في جدية :

- هل لي أن أعرف ما هو آخر هذه القصة ؟

- قصة ؟ أية قصة ؟

- قصتنا مع بعض ، لابد أن تكون نهايتها الطبيعية الزواج .

- زواج ..!!

قالها في استنكار جلي، و الدهشة تجتمع في عينه ، حتى قلت له :

– نعم زواج ، و ما الذي يمكنك أن تطلقه على علاقتك بي؟ هز منكبية في عدم اكتراث ، ثم قال في لهجة حملت استهزاء واضح :

– كل ما يجمعني معك يا مي هو علاقة صداقة ، لا تزيد أو تنقص .

– علاقة صداقة ..؟

– نعم صداقة ، أرجو ألا تكوني تعتقدي أي شئ آخر بيننا، الزواج هو آخر شئ أفكر فيه في الوقت الحاضر و ..

قاطعته في يأس :

– أفهم من ذلك أنك لا تحبني؟

– بالتأكيد نعم و ..

– وغد حقير ..!!

قلت له هاتان الكلمتين ، ثم بصقت على وجهه في اشمئزاز ، و ازدراء ، و تأفف منه و تركته، و غادرت المكان مسرعة ، حتى أنه لم يكترث بمشاعري،و يحاول اللحاق بي لمصالحتي ، تركته و أنا أذرف الدموع، فالوغد جرحني، لم يحبني كما كنت أتمنى ، كان الحقير مجرد شاب مستهتر ، يقضي وقتًا ممتعًا مع فتاة حسناء ليتفاخر،و يتباهى بذلك وسط أصدقائه ،

استوقفت الحافلة التي تتجة لمترلي، ودخلتها ، وجلست على المقعد شاردة الذهن،وفي حالة من الوجوم ،أفكر فيما حدث منذ دقائق قلائل ، وفي هذه الأثناء ، جاءتني صورة أحمد فهمي و لا أعرف لماذا،جاءتني صورته بشهامته،ورجولته،ورقته ، و أدبه الجم ، و تفوقه ، جاءتني صورته و هو يترجاني أن أقبله كزوج ، كان يحبني من أعماقة بالفعل و لم أقدر هذا ، لكن أين هو أحمد الآن ؟ لقد عرفت في ذلك الوقت أنه خطب إحدي زميلاتي في الكلية ، كم أشتاق لأحمد ، كم أشعر في هذة الأثناء أنني أحبه من أعمق أعماق قلبي ، كم أتمنى أن ألقي نفسي في صدره ، و أجهش ببكاء حار ، و أقول له ، سامحني يا أحمد ، سامحني لقد أجرمت في حقك يا من أحبتني بصدق وبراءة ، سامحني يا أحمد و اغفر لي ذنبي وعد لي إنني أقبلك وأتشرف بك كزوج عظيم لي ، و في خضم تزاحم أفكاري ووخز الضمير الذي أتعرض له المشبع بالكمد و الحزن ، جاءني كمساري الحافلة يطلب مني أن أدفع ثمن التذكرة ، بحثت عن حقيبتي فلم أجدها،يبدو أنني نسيتها أثناء لقائي مع الوغد حاتم، فنظرت خلفي في تلقائية ، لعلي أرى أحمد بشهامته ،وطيبته ، يقول للكمساري بصوته الوقور الهادئ ، الدافئ الحنون : تذكرت الآنسة معي، لكنني لم أجده ، لم أجد ملاكي الحارس، فترلت من الحافلة مجبرة،ولم يكن أمامي ما أفعلة إزاء تلك

الضربات السريعة القاسية ، التي تعرضت لها سوي البكـــاء ، وهو ما حدث ، انخرطت في بكاء حار ، بكيت كما لم أبــكِ من قبل،بكيت لأيام طوال حتي جف الدمع ،ولكن لم يــتغير شئ و فقدت الحب الحقيقي للأبد،أرجو أن تكونوا عرفتم الآن كيف لا يشعر المرء بقيمة الشئ إلا إذا فقده .

وجبة غذاء



((١))

كان إبراهيم عائدًا إلى مترله ، قادمًــا مــن مدينــة فايــد بالإسماعيلية ، حيث كان يقضي هناك سنتين هي مدة خدمتــه في الجيش ، بعد حصوله على دبلوم الصنائع ، و في تلك الأثناء – عودته لمترله – ، كان في حــال مــن الــسخط و التــبرم و الاستياء ، فالنقيب يسري غراب ، رئيس وحدته في الجيش ، لا يترك دقيقة واحدة دون تعنيفه ، و توبيخه ، و ســبه بأمــه و أبيه و أقربائة أجمعين ، بسبب أو بدون ، و كأنما إبراهيم هو أحد ألد أعداء النقيب ، أو ربما زوج أمه و هــو لا يــدري ، لذلك كان إبراهيم ينتظر إجازته الشهرية بكل الصبر ، حــتى يهرب من جحيم النقيب غراب ، لكن الشئ الاستثنائي الذي جعل من تلك الإجازة لها موضع خاص في نفس إبراهيم ، هو أنه قام بالتأكيد على أمه ، منذ أخر زيارة له ، أن تقوم بطــبخ وجبة بامية باللحم الضأن له ، فإبراهيم من المغــرمين بالباميــة باللحم الضأن ، كانت وجبته المفضلة دون منافس ، و بخلاف ذلك فقد سأم و أصابه الضجر و النحافة أيضًا مــن وجبــات الجيش التي لا تسمن و لا تغني من جوع ، و سأم أيــضًا مــن طبق الباذنجان المقلي الذي تقدمه له أمه متى قدم في إجــازة ، فأسرة إبراهيم رقيقة و متواضعة الحال ، لا يعرف اللحم طريقًا لمترلهم إلا مرة كل أول شهر ، عندما تــصرف أمــه معــاش المرحوم أبيه و البالغ مائتان جنيهًا لا غير ، لذلك فقد شغلت البامية باللحم الضأن كل عقله ، و ألهبت حواســه ، و ســال

لعابه و هو يتخيل نفسه يأكل البامية مع الخبز الساخن اللذيـــذ من مخبز حمودة .. و وصل إبراهيم للمنزل ، و طرق باب الشقة، ففتح له الباب شقيقه ، فألقى عليه السلام ، ثم دخل لحجرته ، وقام بخلع ملابسه العسكرية و ارتدى أخرى منزلية ، ثم ذهب للمطبخ ، فوجد المفاجأة القاسية في انتظاره ، إذ وجد أمه تقوم بقلي الباذنجان في الزيت ، فاحتدم الغضب في نفسه ، و علت ملامح الغضب و السخط وجهه ، و قال لها في حدة :

– باذنجان .. باذنجان مرة أخرى ..؟

التفتت إليه أمه ، و قالت له في دهشة :

– متى جئت يا إبراهيم ؟

هتف في استياء :

– ألم أؤكد لكي في اتصال أمس أنني قـــادم ، و عليكـــي بطبخ بامية باللحم الضأن ؟ ألم أعطيكِ نقودًا في آخر زيـــارة لشراء مستلزمات الوجبة و ..

قاطعته و هي تصرخ في وجهه :

– صرفت النقود لشراء احتياجات للبيت ، ماذا هناك ..!! أتاتي من الجيش لمجرد الأكل فقط ..!! ثم الجائع يأكل أي شئ و ...

كان إبراهيم في حالة مزاجية سيئة ، من سـباب النقيـب غراب الدائم و المستمر له ، إضافة لسفره الشاق ، و المجهـد ، من فايد للقاهرة في وسيلة مواصلات مرهقة بـدنيًا و غـير آدمية، حتى عدم نومه منذ ليلة أمس سوي سـاعتين فقـط لا غير، لذلك فقد ترك أمه توبخه في حدة و حنق ، و اتجه نحـو الصينية ، التي وضعت عليها قطع الباذنجـان المقلـي ، الـتي خرجت لتوها من المقلاة ، و أمسكها ، و ألقاها في صـفيحة القمامة في غيظ و سخط ، فما كانت من أمه سوي الـصراخ في وجهه قائلة :

– ماذا فعلت يا مجنون ؟ أتلقي بنعمة الله في القمامة ..!! يا مجنون يا كافر بالنعمة .

ثم حدث و أن صفعته على وجهه في قوة ، فاجتاحت نفس إبراهيم مشاعر الغيظ ، و الحنق ، و استـشاط غـضبًا ، و لم يشعر بنفسة و هو يقدم على هذا الفعل ، عندما تنـاول إنـاء ألومينيوم من الطاولة ، و انهال بة ضربًا علـى رأس أمـه ، في عنف مرددًا جملة واحدة :

– لماذا لم تطبخي البامية ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ....!!!

((٢))

"" يقتل أمه لأنها لم تطبخ لـــه باميـــة .. باميـــة بـــاللحم الضأن..!! من المجنون الذي يمكن أن يقدم على هـــذا الفعـــل البشع ؟ ""

ردد محرر الحوادث توفيق نبية تلك الكلمات ، و قد اتسعت عيناه من مبلغ الذهول ، و الدهشة التي انتابته ، عنـــدما سمـــع قصة الحادث من المحقق مدحت ، الذي كان لا يـــزال يقـــوم بمعاينة المطبخ مسرح الجريمة البشعة و الذي قال بنبرة هادئة :

– إبراهيم نفسة لم يصدق أنه قتل أمه بسبب عدم طبخهـــا لوجبته المفضلة ، فجلس يجهش ببكاء حار بجوار جثتها و هـــو يدفن رأسه في صدرها ، حتى أبلغ شقيقه عن الحادث ، الحقيقة – حسب تقديري الشخصي – ، أن ما حدث خـــارج عـــن إرادة إبراهيم تمامًا .

توقف توفيق عن كتابة ما يقوله مدحت ، و نظر إليـــه في استفسار واضح ، فاستطرد مدحت في ذات النبرة الهادئة :

– بحسب رواية شقيقه ، فإبراهيم يعاني من تسلط نقيـــب وحدته ، و الذي لم يتوان عن إذلاله ، و تحقيره ، و إهانتـــه ، وسبه أمام زملائه ، أضف لذلك قدومه للمـــترل في وســـيلة مواصلات غير مناسبة ، كما لا تغفل السبب الرئيسي أنه كان

يمني نفسه بوجبة طعام مفضلة عنده ، فلما لم يجدها ، تبخرت أحلامه ، و انفجر غضبه ، و أصبح في حالة لا شعورية بما يفعل و كان ما حدث .

– لكنة ليس سببًا منطقيًا لأن يقتل ابن أمه ؟

تطلع مدحت لتوفيق ، و قال له في سخرية :

– كيف تكون محرر بصفحة الحوادث ، و لم تسمع عن حوادث مشابهة من العنف ، و البشاعة ، ارتكبت لأسباب تافهة ، و بسيطة ، و عجيبة تثير الدهشة ، لقد سمعنا و قرأنا عن الابن الذي يقتل أمه أو يضربها و يسحلها إرضاءً و إكرامًا لزوجته ، و الشقيق الذي يقتل شقيقه لاختلافهما حول عشرة جنيهات أو حتى جنيه واحد ، أو الزوج الذي يحدث عاهة لزوجته لمجرد أنها تجرأت و نزلت للشارع دون إذن مسبق منه ، الحقيقة أن ضغوط الحياة أصابت أفراد المجتمع بأمراض نفسية عديدة ، للدرجة التي جعلت ١٧ % منهم مصابون بأمراض نفسية بحسب إحصائية أجريت من فترة ليست بالبعيدة .

انتهى مدحت من معاينة مسرح جريمة الباذنجان المقلي ، ونزل مع رجال الشرطة لخارج البيت ، ووقف لدقيقة يدخن سيجارًا ، قبل أن يستقل السيارة عائدًا للنيابة ، فدنا منة توفيق، و قال لة في سعادة :

ـ أظنه سيكون موضوع تحقيق مثير ، مشوق للقراء ، ساجعلة تحت عنوان ""طبق باذنجان مقلي "" سيثير فضول القراء بالتأكيد .

نظر له مدحت في فتور ، و واصل تدخين السيجار ، و حدث أن قامت مشاحنة بين صاحب ورشة لإصلاح السيارات ، و صبي صغير يعمل عنده ، حيث أخطأ الصبي في تركيب فلتر زيت لسيارة ، فانسكب الزيت على الأرض ، فما كان من صاحب الورشة الذي استشاط غضبًا سوى أن انهال على رأس الصبي بالضرب بقطعة حديدية ، و لم يتركه إلا و هو مضرجًا في دمائه ، و لما رأى حجم جريمته البشعة ، هرب في ذعر ، و اجتاحت الفوضى الشارع كله ، و اكتظ و ازدحم الشارع عن آخره بالمتفرجين و الفضوليين ، و جاءت الإسعاف بعدما استدعاها أحدهم ، فأفسح لها المتفرجون الطريق في صعوبة ، ليترل منها رجلان بمحفة ، وضعا عليها الصبي بين الحياة و الموت ، ثم أدخلوه لسيارة الإسعاف لتنطلق به إلى المستشفى لإسعافه ، و ما هي سوى دقائق حتى عاد الشارع لمجري حياتة الطبيعي و كأن شيئًا لم يكن ، و في ذهول قال توفيق :

ـ أكاد أكذب عيني التي شاهدت ما حدث ، صاحب الورشة فقد عقله بلا ريب ..!!

جاءت سيارة النيابة لمدحت ، و قبل أن يستقلها قال لتوفيق بهدوء :

ــ ألم أقل لك أنة يتم ارتكاب جرائم بــشعة ، و عنيفــة لأسباب تافهة و واهية .

و دخل السيارة ، و قبل أن تنطلق بة قال لتوفيق :

– كلنا مرضى نفسيون ، و لكن بدرجات متفاوتة .

و انطلقت سيارته في سرعة ، متجهّة للنيابة لمتابعة التحقيق، بينما بدا الوجوم، وعلامات الشرود على وجة توفيق ، يفكر و يحلل كلمات مدحت ،و لم يلبث قليلاً حــتى انطلــق متجهًــا لجريدته ، ليقوم بكتابة تحقيقه حول طبق الباذنجان المقلي ، مع إضافة تحقيق آخر أسفله تحت اسم انسكاب زيت الفلتر علــى الأرض،و لكن هذة المرة لن يكون مكانهما صفحة الحوادث ، و إنما باب صدق أو لا تصدق .



رنين

((١))

مزق سكون القصر في تلك الساعة المتأخرة رنين الهاتف ، فاستيقظ عادل من نومه في كسل واضح ، و أخذ يتثاءب بعيون نصف مغلقة من نوم لا يزال أثره واضح ، و واصل الهاتف رنينه ، و كان عليه أن يرفع سماعة الهاتف ليعرف من المتصل ، فخادم القصر في إجازته الأسبوعية ، و أمه و زوجته و ابنتيه يغطون في نوم عميق بعد سهرة عائلية متأخرة ، بيد أنه نظر في ساعة يده فوجدها تقترب من الرابعة فجرًا ، فأوجس قلقًا و خيفة ، أن يبلغه المتصل خبرًا خطيرًا موجعًا أليمًا ، فغالبًا ما يحمل رنين الهاتف في أوقات متأخرة من الليل أخبارًا غير سارة ، هذا هو عهده دائمًا برنين الهاتف في الليل ، فمنذ عشر سنوات رن هاتف القصر متأخرًا ، و فوجئ بالمتصل ضابط شرطة ، يبلغه أن والده لقى مصرعه في حادث سيارة ، و عليه أن يذهب للمستشفى لإتمام الإجراءات اللازمة في مثل هذة الظروف ، و منذ أربع سنوات ، فوجئ بذلك الرنين المقيت المتأخر أيضًا ، ليكون المتصل مساعده في المصنع ، الذي أبلغه أن النيران أتت على مخزن المنتج التام بمصنعه في السادس من أكتوبر ، و لعل أقربها منذ سنة واحدة ، عندما كان المتصل ابن خاله ، أبلغه يومها أن شقيقه مات في باريس ، بعد معاناة لسنة من فشل كبدي ، و بعد تلك الأحداث البغيضة ، و الذكريات الأليمة ، أخذ عهد بينه و بين نفسه ، ألا يجيب علي الهاتف في ساعات الليل المتأخرة مهما يكن المتصل ، كل

تلك الأحداث و الذكريات تجولت في عقل عادل و هو يسمع رنين الهاتف المتواصل،ولكن الرنين توقف بغتة ، فزفر عادل في ارتياح،وعدل من وضع وسادتة في عنايـــة فائقـــة ، و أســـبل جفنية، وعاود نومه مرة أخرى ، لكن لم يدم ارتياحة طويلاً ، إذ عاود الهاتف رنينه، فانقبض قلب عادل ، و أحس أن الرنين لثاني مرة يحمل شيئًا هامًا ، و إلا ما كان إصرار المتصل علـــى معاودة الاتصال مرة ثانية ، فتوتر عادل و أصابه الاضطراب ، و لم يدرِ ماذا يفعل ، هل يجيب الهاتف ، و يرفـــع الـــسماعة ، وليكن ما يكن،نبأ سار أو محزن ، أم لا يجيب و يترك الهـــاتف يواصل رنينه ؟ ساورته تلك الأفكار و هو مستلقٍ على فراشه ، و الثواني تمر في سرعة ، و النوم ذهب بلا رجعة ، و توقـــف الرنين بغتة مرة ثانية ، و لثوان ران على القصر صمت رهيب، حتى تمزق مرة ثالثة برنين الهاتف ، فتوترت أعـــصاب عـــادل تمامًا، و بعد مفاوضات بينه و بين نفسه عزم هذة المرة علـــى رفع سماعة الهاتف ، و معرفة من يتصل ، و اللطف من عند الله لو كانت هناك أنباء مفجعة ، فنهض على عجل من فراشـــه ، وخرج من حجرته ، ليتجة للبهو ، و عنـــدما وصـــل لمكـــان الهاتف ، اندهش في شدة و هو يقف أمامه نـــاظرًا في شاشـــته الرقمية ، فقد وجد رقم هاتف المنزل الخاص بـــصديقه أحمـــد عمران ، فتعجب من اتصال أحمد به في هذه الساعة المتأخرة ، فرفع السماعة ، و قال في قلق :

– الو أحمد ..!!!.

أتاه رد أحمد عمران في توتر بالغ :

– نعم يا عادل ، صباح الخير ، لماذا تغلق هاتفك المحمول ؟ و لماذا لم ترد على الهاتف على الفور ؟

قال عادل في دهشة :

– أغلقته لأنني لا أحب تلقي اتصالات هاتفية في ساعات الليل المتأخرة ، ثم خير ، لماذا تتصل بي و تزعجني في ..

قاطعة أحمد في لهجة تشوبها القلق :

– اسمع يا عادل أنا أتصل بك لأحذرك من أن ..هن...

و لم يتمم حديثه للنهاية ، إذ سمع صوت شهقة قوية ، امتزجت بحشرجة مخيفة ، فصرخ في ذعر :

– عادل .. عادل .. ماذا حدث ؟ اجبني بالله عليك عاااااا..

و إذا به يسمع صوت ارتطام جسد في الأرض ، ثم انقطع الاتصال بغتة ، انقطع تمامًا .

((٢))

انتشرت في حديقة قصر عادل،سيارات الشرطة ، والإسعاف ، و أخذ المسعفون يخرجون جثث عادل ، وزوجته، و ابنتيه المراهقتين ، بالإضافة لأمه و التي قطعت ، وطعنت بشكل وحشي بمحفات إلى سيارات الإسعاف ، وبعيون غارقة في الدموع قال أحمد عمران لأحد المحققين :

ـ اتصلت به لتحذيره من أن مراد حسونة السفاح المختل عقليًا ، أو ما تطلقون علية الجزار حسب نشرتكم ، قد هرب من مستشفي الأمراض العقلية ، و أن أحدهم شاهده يتجول بجوار قصر صديقي عادل ، اتصلت بة مرتين و لم يجب ، وعندما أجابني في المرة الثالثة، وما كدت أحذره حتى سمعته يشهق ، ثم انقطع الاتصال ،وكان ما كان ، ياليته أجاب الهاتف من البداية ، ياليته أجاب الهاتف من البداية .

هز المحقق رأسه في أسف واضح ، و أخذ يرمق عربات الإسعاف ، التي تكومت فيها جثث القتلى ، فسرت في جسده قشعريرة باردة ، ثم أشاح ببصرة بعيدًا ، و قال في حسرة :

ـ نعم يا ليته أجاب من البداية ، يا ليته كان أجاب .

واستمر في أخذ أقوال أحمد عمران الذي تعالى نحيبه في شدة.

أنا الوزير



((١))

طوال فترة وجود ماهر رشاد بمجلس الـــوزراء ، كـــوزير للزراعة ، و التي اقتربت لتتمم العشرين عامًا ، لم يـــضف أي شئ حسن ، ونافع ،وذو قيمة لقطـــاع الزراعـــة و التنميـــة الزراعية، بل على العكس ، فقد تدهور حال القطاع الزراعـــي لمستوى مخز،وانخفضت إنتاجية الفدان الزراعي بكافة المحاصـــيل النقدية،كماً تآكلت مساحات الأراضي الزراعيـــة ،وجرفـــت مساحات أخرى ليتم بناء مبان إسمنتية قبيحة مكان الأراضـــي الخضراء الخصبة، وتخبطت السياسات الزراعية ، وعم الفـــساد المالي، والإداري في أروقة وزارته ، لذلك لم يكن مـــستغربًا أن يحظى ماهر رشاد بقسط وافر من غضب، وسخط ،و كراهية المواطنين خاصة الفلاحين الذين تذوقوا المر في عهده ، خاصـــة مع حصولهم علـــى أسمدة،ومخـــصبات عـــضوية، وكيميائيـــة لأراضيهم ،وحقولهم بشق الأنفس وبمعانـــاة بـــسبب نقـــص المخزون،ومع ذلك لم تكن مطابقة للمواصفات القياســـية ،و لم يسلم ماهر كذلك من نقد الصحف المستقلة ،و المعارضة له ، و لمستوي أداء وزارته ،ووصفته بعض الأقلام الصحفية اللامعة المشاغبة ، بأنه وزير لما كان يسمى وزارة الزراعة ، و رغم كل ما سبق،فالسيد ماهر رشاد كان موقعه ثابت في كل تـــشكيل وزاري جديد ، و قيل في ذلك أنة يحظى بدعم كبار رجـــال الدولة و أقطابها ، لكن حدة الغضب الشعبي في أحـــد الأيـــام بلغت الذروة من أداء الحكومة المتردي ، الـــسقيم ، العقـــيم ،

فخرجت مظاهرات في العاصمة تندد بالأداء الحكومي وبزيادة أسعار السلع الأساسية،و انهيار الاقتصاد القـــومي، وانتـــشار الفساد و الفاسدون ، و قام بعض مـــن المـــواطنين في ســـابقة خطيرة بتخريب بعض المنشآت بالبلاد، و لم يكـــن هنـــاك أي خيار أمام الحكومة إزاء ذلك الوضع الخطـــير ، الـــذي ينـــذر بانفلات السيطرة الأمنية في العاصمة ، سوي بتغيير بعض من الوزراء الذين يحظون بقدر وافر مـــن مـــشاعر الغـــضب ، و الكراهية في نفوس المواطنين، و استبدالهم بآخرين من الوجوة الشابة ، و لحظه العاثر ، كان ماهر رشاد ، واحدًا من هـــؤلاء الذين سوف تتم إقالتهم ،وهو ما جعل أحد كبار رجال الدولة يستدعيه لمكتبه ، و بعد ما تحدثوا قليلاً عن الأوضاع الحرجـــة الراهنة التي تمر بها البلاد ، قال له ، في جدية :

– اسمع يا ماهر ، أعرف أن ما ســـاقوله لـــك ســـيحزنك بالتأكيد ، لكن هذا ما ينبغي فعله في هذا التوقيـــت الحـــرج ، الحقيقة إنني أأسف لإبلاغك بضرورة كتابة استقالتك للرئيس .

اتسعت عينا ماهر في ذهول ،وقال بتلعثم :

– أنا سيادتك اكتب استقالتي للرئيس ؟ أنا سيادتك ؟ لماذا؟ هل حدث مني خطأ؟سيادتك تعرف أنني رجلكم المخلـــص ، الأمين طوال عشرين عام، كيف يحدث هذا ؟ كيف ؟ أعتقـــد أن ثمة خطأ ما في الموضوع .

أشعل رجل الدولة الكبير سيجارًا كوبيًا فاخرًا ، و نفـــث دخان السيجار في عصبية ، و قال :

– هدئ من أعصابك، لم تفعل شيئًا خطأً يستوجب إقالتك، كل ما في الأمر إننا نضخ دماء جديدة في مجلس الوزراء بـــدلاً من الوجوه القديمة ، عسى أن يسفر ذلك عن تهدئة الأوضـــاع بالبلاد .

– لكن سيادتك أنا من أل...

قاطعة رجل الدولة الكبير في صرامة :

– لا مزيد من الجدال يا ماهر ، القرار سيترل في صـــحف الغد ، الموضوع انتهى برمتة ، ثم أعتقد أنك جنيـــت الكـــثير طوال سنواتك في الوزارة ، تفهمني طبعًا أليس كذلك ؟

– سيادتك أنا..

هوى رجل الدولة بقبضتة على ســـطح مكتبـــه البلـــوري الفاخر، و قال في حدة مخيفة :

– المقابلة انتهت .

قالها و أدار ظهره لماهر ، و اخذ ينفث دخان السيجار ، في لامبالاة لوجود ماهر ، الذي لم يجد بدًا من الخروج من المكتب الفاخر في حال من الكمد ، و الذهول ، غير مصدق لما حدث

منذ ثوان قليلة ، هل بهذة السهولة يخرج من الحكومة ؟ هل انتهى دورة في العمل السياسي ؟ هل ولت سنوات القوة ، و السلطة ، والنفوذ ، والمال ؟ يا لحجم المأساة ، انتابت تلك الأسئلة الأليمة عقل ماهر ،وهو يخرج من مبنى رجل الدولة الكبير ، مستقلاً سيارته إلى مقر وزارة الزراعة ، حتى قال له سائقه الخاص :

– لقد وصلنا يا فندم .

نزل ماهر من السيارة ، وصعد لمكتبه في الوزارة ، في شرود و بخطوات بطيئة ثقيلة ، حتى أنة لم يشعر بمن يلقي عليه التحية، ولما دخل مكتبه ، أخذ يجمع أوراقه ، و ملفاته الخاصة و السرية،جمعهم في سرعة ،ووضعهم في أحد الحقائب الجلدية، ثم هم بالانصراف ، لكنه و قبل خروجة من المكتب ، ألقى نظرة أخيرة تشع بالبؤس على مكتبة الفخم ، نظرة الوداع رللأبد،ثم بخطوات بطيئة غادر مبنى الوزارة ، ليستقل سيارته مرة أخرى و تنطلق به إلى قصره ، و لما وصل له ، لم يتكلم مع زوجته مطلقًا ،و لم ينبس بحرف واحد ، فقط اكتفى بدخول حجرته ، وأغلق بابها بالمزلاج عليه ،ومرت الأيام ، وماهر يسوء حاله يوم وراء يوم ، فبات أسير لحجرته ، لا يخرج إلا نادرًا ، لا يتحدث مع الآخرين ، باستثناء بضع كلمات قلائل، فقد شهيته تمامًا ، و أصبح نحيف هزيل ، و ما زاد من مساحة ألمه ، وكربه ، أن جميع أصدقائه من الوزراء تنكروا منه ، و لم

يبادر أي واحد منهم بالاتصال به للسؤال عنة كما كان يحدث في السنوات الذهبية عندما كان وزيرًا ، و لما رأت زوجته حجم مأساة زوجها ، قررت الاستعانة بطبيب نفسي ، الذي أكد – عندما جلس مع ماهر – أنه يعاني من اكتئاب حاد ، و قام بكتابة بعض من الأدوية المضادة للاكتئاب عسى أن تنتشل الرجل من مرضه ، لكن حالة رشاد لم يطرأ عليها أي تحسن ، بل زادت سوء ، لم يستطع الرجل أن يستوعب أنه أصبح وزير سابق و أنه أصبح مواطنًا عاديًا كغيره من الملايين ، لكن حدث في أحد الأيام ، أن فوجئت زوجته به يستيقظ مبكرًا ، ويرتدي بدلة فاخرة ، فسألته في قلق :

– صباح الخير يا ماهر ، أين ستذهب مبكراً هكذا ؟

قال لها ماهر في دهشة :

– إلي أين سأذهب ؟ للوزارة بالتأكيد !!!

– وزارة ؟ أي وزارة ؟

قالتها زوجته في استنكار ، فأجابها في هدوء :

– وزارة الزراعة بالتأكيد ، هل نسيتي أنني وزير الزراعة..!!

– هل قرروا في الحكومة عودتك مجددًا كوزير؟

– عودتي مجددًا ، أي كلام هذا ، أنا لم اخرج و لن أخرج أبدًا من الوزارة ، إنها كانت مجرد إجازة ، إجازة قصيرة .

تطلعت الزوجة لماهر في ارتياع ، و تسارعت نبضات قلبها، وأحست أن ماهر فقد عقله ، فنهضت من فراشها في سرعة ، و أمسكت يده ، و قالت في توتر :

– يا ماهر أنت خرجت من الوزارة و انتهى الأمر ، أنـــت وزير سابق الآن ، هل تفهمني وزير سابق

دفعها في عنف ، لتسقط على الأرض ، ثم قال في صرامة :

– أنا ماهر رشاد وزير الزراعة ، هل تسمعيني جيدًا وزيـــر الزراعة ..!!!

وخرج مسرعًا من الحجرة ، ثم هبط درجات السلم ، ليفتح باب القصر،و يجد السيارة أمام الباب ، فركبها ، و أمر السائق بالتوجه إلى مقر وزارة الزراعة،و عندما وصـــل ، نـــزل مـــن السارة، ليدخل المبنى ، وهو يوزع الابتسامات على مـــوظفي الوزارة أجمعين، الذين كانوا ينظرون له في دهشة ،ووصل ماهر لمكتب طاقم سكرتارية الوزير الجديد ، فألقى عليهم التحيـــة ، و قال لواحدة منهم :

– نبيل فؤاد في الداخل ؟

كان نبيل فؤاد هو الوزير الجديد في الحكومـــة ، فبانـــت ملامح الدهشة على السكرتيرة ، و قالت :

– سيادة الوزير هنا يا فندم ، دقيقـــة واحـــدة و أخـــبره بوجودك .

لم ينتظر ماهر دخول السكرتيرة ، و إنما فتح باب مكتب الوزير في عنف ، و فوجئ الوزير الجديد به يقتحم مكتبه ، و كان جالسًا أمام مكتبه ، لكنة هب من مقعده ، و رسم على وجهه ابتسامة ، و قال :

– أهلا .. أهلا بسيادتك ، تشرفنا بوجودك ؛ تفضل ، تفضل .

ودعاه للجلوس على أحد المقاعد ، و أشار لسكرتيرته الخاصة أن تنصرف ، ولكن ما كادت أن تنصرف ، و تغلق الباب خلفها ، حتي صاح ماهر قائلاً :

– هل من الممكن أن أعرف من أعطاك الحق في دخول مكتبي ؟

نظر لة الوزير الجديد في استنكار قائلاً :

– مكتبك ؟

– نعم مكتبي ، هل نسيت إنني ما زلت وزير الزراعة ، دخولك مكتبي بدون إذن مسبق هو أسلوب فظ و اعتداء علي اختصاصاتي أيها الوقح، اخرج من مكتبي .. اخرج منة الآن..!! لم يحرك الرجل ساكنًا ، فقط كانت نظرات الاستنكار و الدهشة تعلو وجهه من حديث ماهر الذي تناول تمثال برونزي صغير، كان علي سطح المكتب ، و قذف بة

الوزير الجديد ، فاصابه في وجهه ، فصرخ في ألم ، و هو يضع يده على أنفه الذي كسرت عظمته ،و سالت منه الـــدماء ، ثم صاح في ذعر :

– ما الذي فعلتة يا مجنون ؟ الأمن ، الأمـــن ، النجـــدة ، النجدة ..!!

ومع صياحه الحاد و المرتفع ، اقتحم أفراد الأمن المكتـــب، فأشار لهم الوزير الجديد بيده نحو ماهر ، قائلاً و الدماء لا تزال تسيل من أنفه :

– المجنون .. اقبضوا على المجنون .

أمسك رجال الأمن بماهر ، لكنة حـــاول أن يفلـــت مـــن قبضاهم القوية دون جدوى ، فأخذ يصرخ قائلاً :

– أنا ماهر رشاد وزير الزراعة ، أنا الوزير ، أنا الوزير..!!

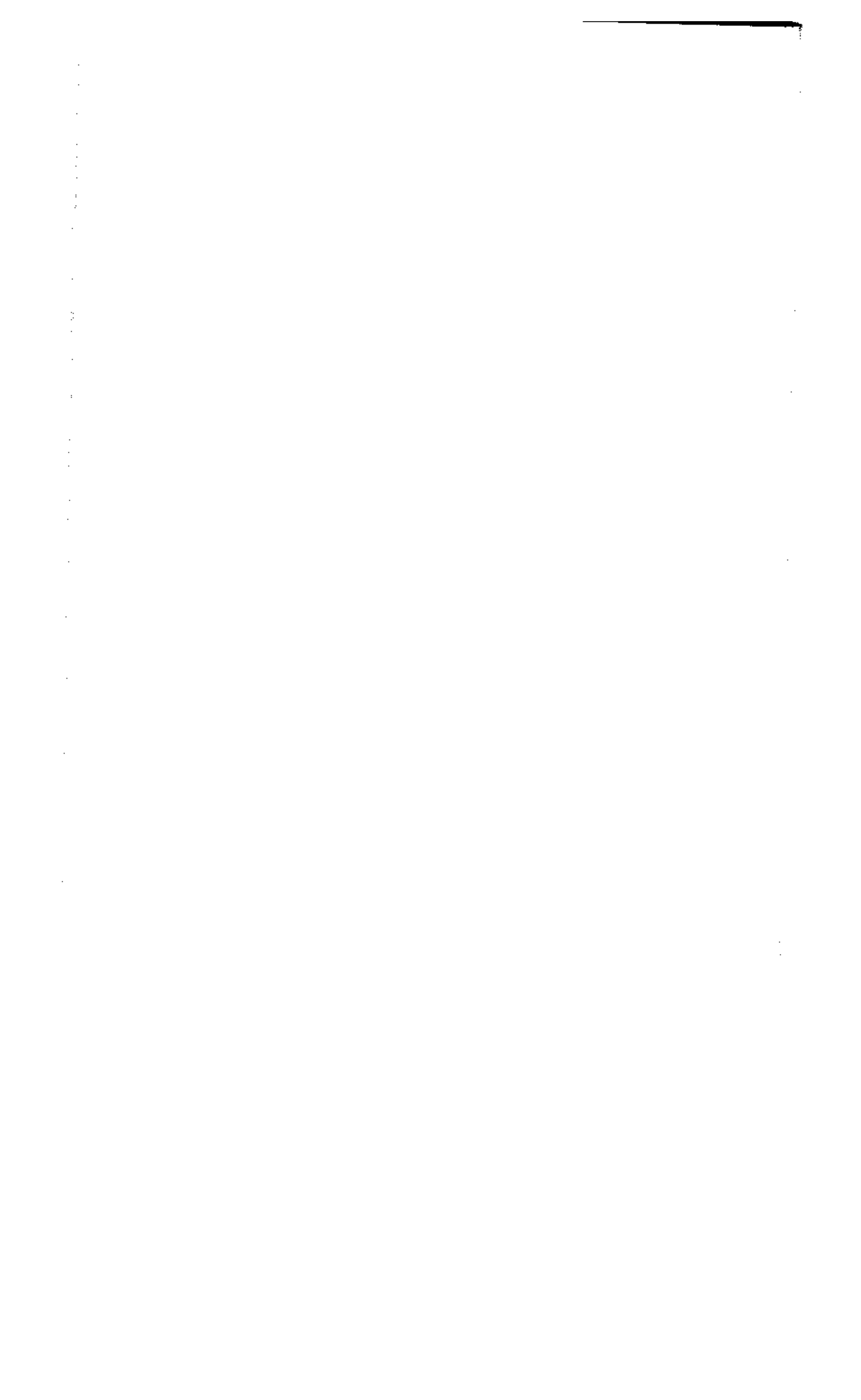
((٢))

هز طبيب الأمراض النفسية و العصبية رأسة في أسف بالغ ، و قال موجهًا حديثه لزوجة ماهر :

– حتى الآن حال السيد ماهر غير مطمئن بالمرة ، لا أعرف متى ستعود حالته للسابق ، من جانبنا سوف نفعل أقصى ما لدينا ، و الأمل في الشفاء التام هو أولاً و أخيرًا بيد الله .

انطلقت الدموع من عيني الزوجة ، في حزن واضح ، عند سماع حديث الطبيب ،وأخذت ترمق ماهر زوجها من وراء زجاج باب حجرته البلوري الشفاف بأحد مصحات الأمراض النفسية و العصبية الذي كان أحد نزلائها ، فكان يقطع بخطوات بطيئة الحجرة ذهابًا و مجيئًا ، مشبكًا يده خلف ظهره، و يصرخ بأعلى صوته :

– أنا ماهر رشاد وزير الزراعة ، أنا الوزير .. أنا الوزير.. أنا الوزير ..!!



في عمر مكرم



"" و الله لا أتقبلن العزاء في أبي إلا في عمر مكرم ""

ردد شريف هذه الجملة في عصبية بالغة ، و هـو يوجـه حديثه لأمه ، وهما يجلسان في أحـد حجـرات قـصرهم ، و معهما شقيقاته الثلاثة ، وأعمامه ، فأطرقت أمه قلـيلاً ، ثم قالت :

– و لماذا يا ابني مسجد عمر مكرم بالتحديد ؟ مساجد الله في الأرض كثيرة ، والدك دفن اليوم و انتهى الأمر ، سـنتقبل العزاء في أي مسجد ، ما يعنينا هو جموع المعزين الذين يودون تعزيتك في المرحوم .

تطلع لها شريف في استنكار واضح و قال :

– أتقبل عزاء المرحوم أبي في أي مسجد .!! حسين الجندي يقام عزاؤه في أي مسجد في القاهرة ، حسين الجنـدي أحـد كبار رجال المقاولات في مصر لا يقام عزاؤه في مسجد عمـر مكرم ..!! ماذا تقولين بالله عليك ؟ هـل تريـدين أن تـأتي الشخصيات الهامة لتعزيني في وفاة المرحوم في أي مسجد ؟ أي كلام هذا ؟ لقد اتفقت مع إدارة المسجد و انتهى الأمر .

هزت أمه رأسها في أسف واضح من كلام ابنها شـريف ، بينما قال أحد أعمامه في هدوء :

– اسمع يا شريف ، أعرف أن وفاة المرحوم أحزنتك ، وسببت لك مرارة و ألم لا حصر لهما ، وأعرف كذلك أنك تريد تكريمه بشكل يليق باسمه الكبير ، عن طريق تقبل العزاء بأحد أشهر المساجد كعمر مكرم ، لكن هذا الأمر غير منطقي، التكريم الحقيقي له يأتي عبر التصدق بالأموال على روحه الطاهرة ، لتصب في ميزان أعماله الصالحة عند الله ، لكن أن تقول لي لابد من تقبل العزاء في عمر مكرم ؟ أنا يا شريف اتفق مع أمك بضرورة تقبل العزاء في أي مسجد آخر ، هل من المقبول أن ننتظر يومان من الآن لتقبل العزاء لأن عمر مكرم غير مستعد لاستقبال معزين ؟

تعالت الأصوات جميعها في الحجرة تؤيد وجهة نظر العم ، لكن شريف هب من مقعدة ، و قال في حدة :

– و لو ، يومان .. يومان لكن في عمر مكرم .. في عمر مكرم .

تبادل كل من في الحجرة النظرات فيما بينهم ، و بانت على ملامحهم دون استثناء معالم الاستياء و الضيق ، حتى قالت له أمه في استسلام :

– ليكن يا شريف ، في عمر مكرم بعد يومين .

و انفض اجتماع العائلة لمناقشة ذلك الموضوع الجلل ، على الركون لرأي شريف ، و مر يومان ، و كان يوم العزاء المنتظر، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، فوزير الري و الموارد المائية

في البلاد توفي في فجر ذلك اليوم — يوم العزاء - ، فاضطرت إدارة مسجد عمر مكرم لتأجيل عزاء حسين الجنـــدي يـــوم واحد، ليتسنى لهم إقامة عزاء الوزير ، فالسيد رئيس الجمهورية شخصيًا سوف يكون على رأس قائمة الحـــضور ، فاضـــطر شريف في أسف للاعتذار لجميع معارفه عن ذلك التأجيـــل ، وقام بنشر إعلان جديد للغد في الجريدة في صـــفحة الوفيـــات بالموعد الجديد ،وجاء يوم الغد ، و في الحقيقة كاد شريف أن يسقط فاقدًا للوعي ، فإدارة المسجد اعتذرت له للمرة الثانيـــة عن إقامة عزاء الوالد ، فزوجة قائد القوات الجوية توفيـــت ، وسيقام العزاء الخاص بها في مسجد عمر مكرم و سيحـــضرة كبار رجال الدولة من عسكريين ،وسياسيين ، فذهب شريف لقصر العائلة ، و هو يجر خلفه أذيال الخيبة ، و أخبرهم جميعًـــا بمستجدات الوضع الراهن،و انصرف في ســـرعة ، لكـــي لا يجلدونه بكلمات قاسية عنيفة ، بسبب حماقة تفكيره ، ثم ذهب للجريدة مرة ثالثة ، لينشر إعلان في صفحة الوفيات عن الموعد الجديد لعزاء المرحوم ، و في الليل ، أخذ شريف يـــدعو الله أن لا يموت أحد من كبار رجال الدولـــة أو المـــسئولين إكرامًـــا للمرحوم أبيه ، و جاء اليوم الموعود ، و ذهب شريف للمسجد للتأكد أن العزاء سيقام في موعده ، فبشرتة الإدارة أن العـــزاء سوف يقام اليوم في موعده ، و في المساء ، كان شريف يقف منتصب القامة في اعتدال ، أمام المسجد مرتديًا بدلة ســـوداء و بجوارة أعمامه و اقربائه ، في انتظار جموع المعزين الغفـــيرة ،

و مرت دقائق و لم يأت أحد ، فأحس شـــريف بالاضـــطراب و القلق ، وأخرج منديل من جيب بدلته ، ليمسح عرق وهمي، ليداري بة خجلة أمام موظفي شركته ، الذين جلسوا داخـــل دار المناسبات ، و مرت ســـاعة كاملـــة ، و لم يـــأت لـــدار المناسبات إلا نفر قليل ، يعدون على أصابع اليـــد الواحـــدة ، و رن هاتف شريف المحمول لمرات عديدة ، و في كل مـــرة ، كان المتصلون شخصيات هامة ، و أصدقاء الفقيد ، يعتـــذرون له في أسف عن الحضور ، بسبب معرفتهم المتأخرة بيوم العزاء و عللوا ذلك بتأجيلة لأكثر مـــن مـــرة ، فأفحمـــت تلـــك الاتصالات الهاتفية شريف،وتلون وجهه بحمرة خفيفة من شدة غضبه،و تبرمه الواضح ، و انتظر حتى انتهي القارئ من تلاوة ما تيسر له من آيات القرآن الكريم ، وانصراف النفر القلائـــل الذين حضروا العزاء ، و قال لعمه في ثورة عارمة :

– ما لها مساجد القاهرة الأخرى ؟ كلها مساجد الله كمـــا قالت أمي ، و الله و الله لا أذهبن لعزاء أبدًا في عمـــر مكـــرم مهما كان الفقيد أبدًا .. أبدًا .. أبدًا .

ربت عمة علي كتفية في رفق و حنان بـــالغ ، في محاولـــة يائسة لإخماد ثورتة النارية دون جدوي .

حكاية الآنسة أميرة



تطلعت أميرة لوجهها في المرآة ، ثم أخذت تمرر يدها علـــى شعرها ذهبي اللون الطويل المنسدل على كتفيهـــا ، ولـــدقائق شردت أميرة ، و أخذت تفكر في عمق ، فها هي سوف تـــتم خلال أيام عامها الخامس و الثلاثين و لم تتزوج بعد ، حقيقـــة أميرة لا تعرف سبب لذلك — عدم زواجها حتى الآن –فهـــي تنحدر من عائلة عريقة و كريمة ، و تتمتع بجمال وحسن باهر، متدينة ،وشخصية جذابة مرحة ساحرة ، و ذات حضور طاغ، إضافة لعملها في واحدة من أكبر شركات الاتصالات الخاصـــة في العاصمة كسكرتيرة براتب مرتفع ، باختصار هـــي تتمتـــع بكل الصفات التي تجعل أي رجل في العالم يتمنى الزواج منها ، ولكن أين هم الرجال ؟ الواقع و كاعتراف بالحقيقـــة فـــأميرة تقدم لخطبتها أربعة رجال في خلال تسع سنوات أو ما يزيد ، لكن لم يستطع أي واحد منـــهم أن يغـــزو قلبـــها ، و تقـــع وتذوب في حبه ، كلهم كانوا نسخ كاربونية مـــن بعـــضهم البعض، فلا يميزهم أي شئ، مجرد أشخاص عاديين و في ضيق توجهت أميرة نحو نافذة الحجرة ، و شـــردت مـــرة أخـــرى و الأفكار تعاودها من جديد ، كم هو بغيض لقب آنسة الذي يسبق اسمها دائمًا ، لقب آنسة من وجهة نظرها يتساوي مـــع عانس ،وعانس .. كلمة بشعة ، قبيحة ، تنفر منها الفتيـــات ، وشخصت أميرة ببصرها للسماء ، و هي تـــدعو الله في هـــذا

الوقــت أن تتزوج من أي رجل ، أي رجل ينقــذها مــن العنوسة وتتزوجه و تسير معه في الشارع في سعادة غــامرة ، وتشير إليه بيدها لمن تعرفهم ، و تقدمه لهــم قائلــة : لقــد تزوجت، وها أنا أسير مع زوجي،كانت تلك أمنياتها توجهت بها لله ،وفي هذه الأثناء ، دخلت أمها حجرتها ، و قالت لها في سعادة :

– مبارك يا أميرة ، لقد تقدم لخطبتك شاب اليوم .

لم تتوقع أميرة أن يستجب الله لدعوتها في الحال، لذلك فقد نظرت لأمها في استنكار امتزج بدهشة ، فتابعت أمها كلامها قائلة :

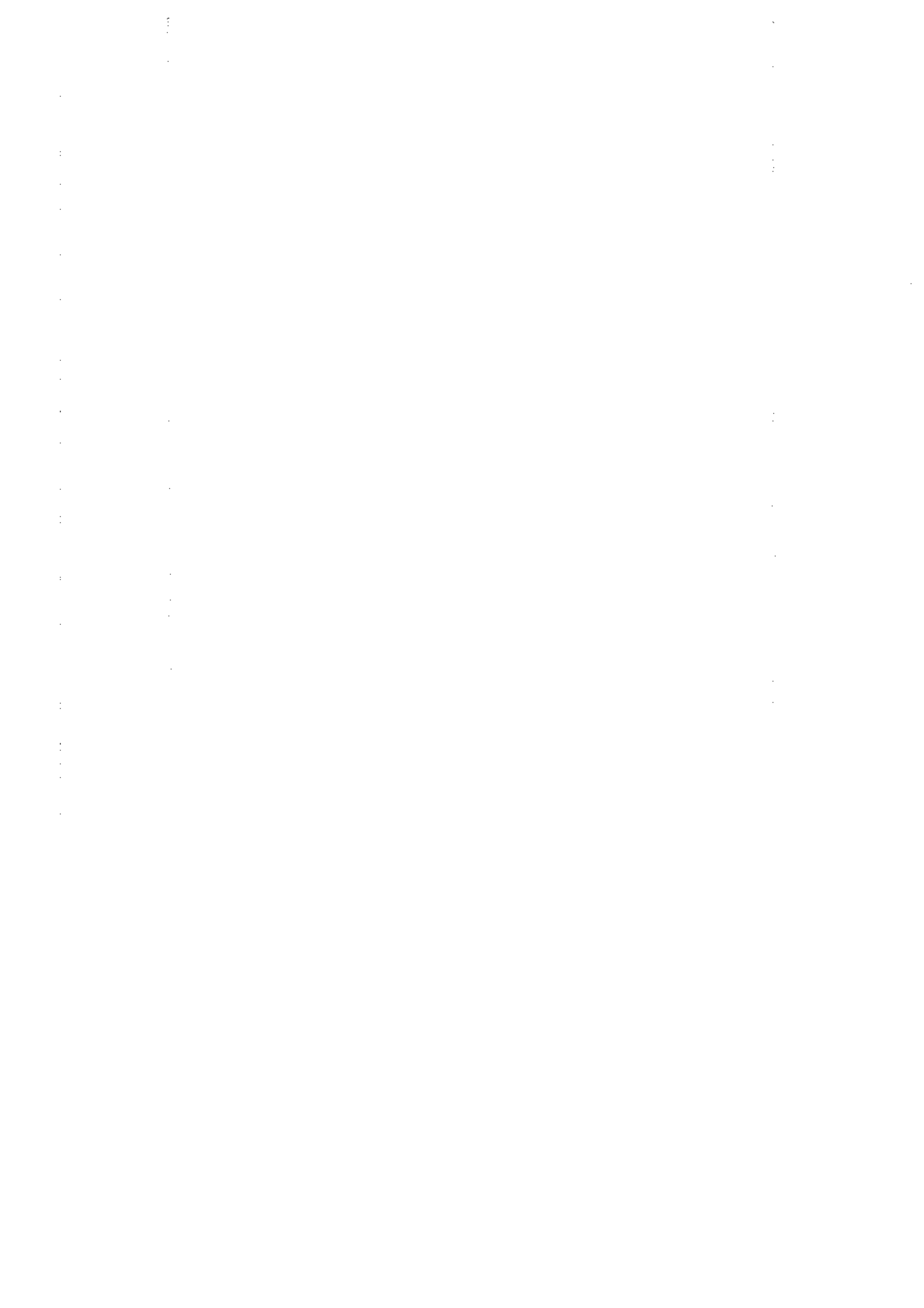
– صديق والدك، له ابن وحيد هو الذي سيتقدم لخطبتــك اليوم ، مبارك يا حبيبتي مبارك .

و جاء مختار،الزوج المنتظر،وكانت صدمة أميرة قاسية عندما شاهدته ، فهو متوسط الطول ، بشرته تميل للــسمره ، يميــز وجهه أنف ضخم،و لما جلست معه ، أحست أنها تتكلم مــع رجل فارغ العقل ، فمختار ثقافته محدودة ، وكلمات حديثــه تنم عن جهل فاضح ، فهو لم يكمل تعليمه الثانوي الصناعي ، وفضل أن ينضم لشركة المقاولات التي يمتلكها ويديرها أبــوه، و لم يكن هناك مفر لأميرة هذة المرة سوى القبول بمختار كزوج

لها ، فسنوات العمر تمر في سرعة مخيفة ، و الكل يتزوج و هي قابعة في مكانها عانس تبلغ من العمر خمس و ثلاثـون عـام لتقترب من سن الأربعين الذي يشبه الكارثة بالنسبة للنساء في حد ذاته ، لذلك فقد قبلت الـزواج علـى مـضض ،و في استسلام كقدر حتمي ، و تم الزواج سـريعًا ، و منـذ ليلـة الزفاف،سقط القناع الذي كان يخفي وجه مختـار ، و ظهـر بوجهه الطبيعي بدون أي تجميل أو تزييف ، فهو لا يهتم بأي شئ في الدنيا أكثر من اهتمامه بممارسة الجنس معهـا بكـل شكل، وطريقة ،ووضع ، غير مكترث أو عابئ بحالتها النفسية، و المزاجية في وقت المضاجعة أو مدى تقززها ، و ازدرائهـا ، من إتيانه لبعض الأفعال الجنسية الشاذة معها ، و التي كانـت تصيبها بالقئ و الغثيان ، كانت أميرة مجرد وعاء يـصب فيـة مختار شهوته في سرعة ككلب ضـال ، لم يحـدث في أيـام زواجهما الأولى أن قال لها كلام يقطر حب ، و رومانـسية ، وعشق ، و هيام فيها ، كان كل كلامة و حديثة ، ينصب في شيئان ، الجنس ، و تشجيع فريـق نـادي الزمالـك لكـرة القدم..!!، لم يكن مختار هو الرجل الأمثل الـذي يمكنـها أن تكمل معه حياتها و يعيشا سويًا ، لذلك فقد كـان الطـلاق وشيكًا بلا أدنى ريب ،طلاق بين كفتين غير متكافئتين ، سبعة أشهر من المعاناة تحملتها أميرة من تاريخ زواجهما في صـبر ،

عسى أن يتغير مختار ، و يطرأ تغيير على طباعه السوقية الفظة، المقززة ، و لكن مختار لم يتغير ، ظل كعهدها به دائمًا ، يمارس الجنس كداعر محترف ، و يشجع فريق الكرة بنادي الزمالــك و تشيلسي الإنجليزي مؤخرًا ،ووقع الطلاق ، ماطل مختار أيامًا طوال لكنه نزل على رغبة أميرة وأبيها في النهاية ، لكن بعد ما أشبعها ضربًا، و سبًا ، وقيامه بمضاجعتها بالقوة أكثر من مــرة كمغتصب حقير في أخر ليلة لها في مــترل الزوجيــة و كأنــة يودعها بطريقته الخاصة ، و عادت أميرة لبيت الأســرة بعــد سبعة أشهر كاملة ، محطمة القلــب ، منكــسرة ، بائــسة ، ودخلت حجرها و أغلقت الباب ورائها و اســتلقت علــى فراشها، وذكريات سبعة أشهر من المعاناة تمر مــن أمامهــا ، وفي هذة الأثناء اغرورقت عيناهــا بالــدموع ، و بكــت في حرارة، وشعرت بالندم على قبولها الزواج من رجل كمختار ، ففي السابق كانت تحمل لقب آنسة أي الفتاة التي لم تتــزوج بعد ، أما الآن فهي تحمل لقب قاس ، مؤلم سيثير الفضوليين ، و يجعل الألسن تتكلم عنها دائما بالقيل و القال ، وبــالغمز ، واللمز ، و التلميح بأكثر من معنى ، لمعرفة أسباب هذا اللقب، لقب امرأة .. امرأة مطلقة .


سماح



سماح .. عاهرة كلاسيكية بكل ما تحمل الكلمة من معان ، فقوامها ممتلئ وقصيرة القامة ، وطلاء أظافرها لونه أحمر فـاقع من النوع الرديء ، وغير مطلي بعناية ، كما لا يمكنك أن تغفل أحمر الشفاه الذي يزين شفتيها كمهرجي السيرك القومي، أما أظافر قدميها و يدها فهي طويلة وغير مقلمة ،وشديدة الاتساخ من جوانبها وأطرافها، وحنوفة هو القواد الذي اضطلع بـدور توريد الزبائن لسماح، كان كل ما على سمـاح أن تجلـس في قهوة حنوفة بعد الثامنة مساءًا بمسطرد تـشرب كوبًـا مـن الليمون البارد ،في انتظار زبونها لكل ليلة،كانت أجرتها خمسون جنيهًا في المضاجعة الواحدة ، يأخذ حنوفـة منـها عـشرة جنيهات،وتأخذ هي المبلغ المتبقي ، ليس هذا كل شئ ، فطالما تجيد دور المسكينة في الأفلام العربية القديمة ،وتشكو للزبون مر حالها و قسوة زمانها ، فيرق قلبه ، و ينفحها بما تيـسر لـه ، ولأن الله يهدي من يشاء ، فسماح قررت التوبة في يوم مـن أيام الشتاء الباردة ، قررت التوبة النصوح فجأة ، و بدون أي مقدمات،فلا هي أصيبت بسرطان الدم،أو حـتى الثـدي ، أو شاهدت حادثًا مروعًا ارتج له قلبها حتى ارتد إيمانها لها ، فقط سماح أرادت أن تتوب،و يكون لها زوج صالح ، وبيت سعيد، وأطفال ،و لما أخلصت النية لله ،وقـررت التوبـة الفعليـة، صارحت حنوفة بقرارها، فتعجب من توبتها كثيرًا ، وجادلها

لإقناعها بالعدول عنه طويلاً ، ثم قـــال في استـــسلام امتـــزج بالبرود:

– ربنا يهديكي و يهدينا معاكي ....!!!!!

وبصعوبة بالغة ، و بشق الأنفس ، عثرت سماح على عمل ، فسيرتها الكريهة أوصدت أبواب العمـــل في وجههـــا بمنطقـــة سكنها و الأحياء المجاورة ، عثرت علـــى عمـــل في مـــصبغة ملابس، كان أجرها في الشهر ثلاثمائة جنيهًـــا لا غير،ورغـــم ضآلة المبلغ و حقارته ، إلا أنها كانت تتلهف علية بنفس راضية قانعة ، صافية أول كل شهر، فالمبلغ حلال من شقائها بالفعل، و الأهم مباركة الله فيه ، و من خلال العمل في المصبغة تعرفت على طاهر،صبي في قهوة تجاورها ، مالت له قليلا ، ولكنها لم تحبه،وبمرور الوقت، تودد طاهر إليها،وفاتحها يومًا في موضوع الزواج ، و الواقع أن سماح فوجئت بذلك ، و لم تعرف كيف تقص لطاهر ماضيها الدنئ ، إلا في يوم ما ، لملمـــت فيهـــا أطراف شجاعتها،و اعترفت لطاهر بكل شئ ، فبهت، ولثوان لم يدرك ماذا يقول ، حتى نظر إليها بعد وجـــوم، و تفكـــير متعمق ، و قال بلهجة صادقة :

– إن الله غفور رحيم يا سماح ، لقد نسيت كل شئ ، ما يعنيني هو ما أصبحتِ عليه الآن .

و تزوج الاثنان،و أقاما في شقة في إمبابة، و في أيام الزواج الأولى،كانت فرحة سماح لا توصف بحياتها الجديدة ، التي طالما شغفت بها،فعاهدت نفسها أن تسعد زوجها ، وتكــون لــه الزوجة المخلصة ، الوفية ، الماهرة ، فكانت — يوميًا - تستأذن من صاحب العمل ساعة بعد صلاة العــصر، لتــذهب فيهــا للشقة، تعد وجبة الغذاء لطاهر،وتدبر شئون المترل الأخرى، ثم تعود لعملها مرة أخرى ، حتى تنتهي منه في التاسعة ، لتعــود هي وطاهر للمترل سويًا،وسارت الأمور بينهما علــى هــذا النسق لسنة كاملة و كانت حياتهما هادئة ، رتيبة إلا من بعض المشكلات،ومنغصات الحياة ، تجاوزاهــا الطرفــان ســريعًا ، وفي السنة الثانية لزواجهما رزقا بولدًا ، أصرت سمــاح علــي تسميتة حسين ، تيمنًا بسيدنا الحسين رضي الله عنه ، الــذي رأت فيه سماح نبراسًا مضيئًا لماضيها حالك الــسواد ،وكــان حسين قرة عين حياة ، وروح،سماح، و لأن الحياة لا تعطــي للمرء كل شئ ، فقد تغيرت طباع طاهر شيئًا فشيئًا بعد قدوم حسين ، كان على الدوام عكر وسيئ المزاج ، و لم يتوان على ضرب وإذلال سماح بسبب وبدون، و كانت تتلقــى ضــربه، وإهانته،وسبه ونعته لها بالعاهرة بجلــد، وهــدوء ، وصــبر ، وحكمة حتى تحافظ على بيتها ، وفي يوم من الأيام ، تتــذكره هي جيدًا، جاء طاهر للمترل وقد أطاح الحشيش بعقلة ، أو إن

تحرينا الدقة بالبقية المتبقية من عقله ، وصفعها علـــى وجههـــا صفعة قوية ، شعرت بالدوار من أثرها، وقال لها بلسان ثقيل ، و بعيون نصف مغلقة :

– حسين ابن من يا عاهرة ، قولي لي الآن ...؟

لم تصدق سماح ما قاله لها طاهر ، و نظرت لـــة بعيـــون ذاهلة، مستنكرة،وعاتبته،ولامته وأخذت في الصراخ في وجهه حتي توقظه من أثر الحشيش الذي استولى على عقله ، و لكـــن محاولاتها أجهضت في حينها ، فالحقيقة أن طاهر جن جنونـــه تلك الليلة ، فلم يحفل بكلامها ، فأشـــبعها ركـــلاً وصـــفعًا ولكمًا، حتي خارت قواها و سقطت أرضًا ، و هي تنزف دمًا غزيرًا من فكها الذي حطمه طاهر ،ولم يكتفِ بذلك،بل أسرع نحو حجرتهما،وخرج منها،حاملا حسين و كان نائمًا كملاك وديع ، و اتجة بة نحو النافذة ، و فتحها ، و مد يـــدة لخـــارج النافذة حاملاً الطفل ، و قال لسماح و قد احتل الجنون عقله :

– ابن من يا سماح ..؟ ابن من ..؟ إنه ليس ابني ..!! ليس ابني يا بنت الزانية ..!!

و أعقبها بأن ألقى بالطفل من النافذة ، لتـــشهق سمـــاح في رعب،وتلطم خديها في جنون و تفقد وعيها تمامًا ، و يبدوا أن طاهر قد استيقظ فجأة من أثر الحشيش بعد أن ألقى طفلـــه ،

ورأى فداحة فعلته ، وشاهد أهل المنطقة يتجمهـــرون أمـــام المترل، ملتفون حول جثة حسين الغارقة في الدماء ، و يبـــدون دهشتهم ، وتعجبهم و يسبونة بسباب قاس ، فبكى طـــاهر ، ووضع إصبعة في فمه كطفل صغير ، و أخـــذ يـــردد كلمـــة واحدة،

- حسين ..حسين .. حسين ..!!

وصعد في تلك الأثناء الأهل ، و الجيران ، و قاموا بكـــسر باب الشقة ، وأمسكوا طاهر – الذي كان يهذي بكلمات غير مفهومة –و أوسعوه ضربًا ، ثم اقتادوه إلى قسم الشرطة ، لينال عقابه ، ويسجن في دراما و حادثة مثيرة ظلت عالقة في عقـــل ووجدان أهل حارة سيدهم بإمبابة،حتى وقت ليس بالبعيد.

و فقدت سماح كل شئ في تلك الليلة الحافلـــة بالمآســـي ، فقدت الزوج،والابن الوحيد،وعقلها أيضًا، و احتاجت لأربـــع سنوات كاملة ، لكي تتجاوز تلك الفاجعة ، و تعـــود كمـــا كانت ،أربع سنوات ظلت تتردد على أحد مصحات التأهيـــل النفسي،والواقع أن الجميع تكاتف حولها في محنتـــها ، حـــتى حساب المصحة النفسية ، تكفل بة أهل الـــبر، و التقـــوى ، والإحسان، حتى عادت سماح لحياتها مرة أخـــرى ، ولكنـــها عادت كشبح قادم من القبور ، فقد فقدت الكثير من وزنهـــا ، و اشتعل شعرها شيبًا رغم أنها لم تتجاوز الأربعين ، و شحب وجهها،وأنهك مرض السكر بدنها ، و الأشد مرارة ، أن توقف

الجميع عن مساعدتها ، قالوا في ذلك ، يكفي أربع سنوات من المساعدة ، فضاق بها الحال، فاضطرت للنزول مجددًا للعمـــل ، وبسبب مرضها وبنيتها الضعيفة، لم تستمر في أي عمل أكثر من أسبوعًا واحدًا لتخرج منة مطرودة،وأخذت تفكـــر في عمـــل بسيط يجلب لها المال دون عناء،فرسم لها الشيطان العودة لمهنتها التي تابت لله عنها وتركتها،وفي إحباط مدفوع باليأس ،ذهبت سماح لمسطرد، حيث مقهى حنوفة ، فلم تجد حنوفة، ووجدت ابنه عاطف، فحنوفة مات، وبدأ عاطف في استكمال مـــسيرة الأب في توريد واستقطاب العاهرات لراغبين المتعة ،ولوقـــت طويل، أخذ عـــاطف يرمـــق سمـــاح ويمعـــن النظـــر فيهـــا وعلامات التفكير المتعمق تبدو علي وجهه ، ثم قال في حسرة :

- تغيرتي يا سماح، أنهكك الـــزمن وهمومـــة ، كنـــت في مراهقتي أراكي كالقمر في تمامه ، أما الآن فأنتي.........

و هز رأسة في أسف واضح ، فقالت له في لامبالاة :

– أتعني أنني لم أعد أصلح ..؟

أشار عاطف لأربعة فتيات، يجلسن على طاولة واحـــدة ، كل واحدة من هن تنتظر رجلها ، و قال لسماح بهدوء :

– انظري لهن ، كل واحدة منهن كالثمرة الناضجة ، كلهن صغيرات ، فاتنات ، شهيات ، طازجات ،أما أنت ف....

و لم يتمم كلامه ، ففهمت هي مراده ، فأشعلت سـيجارة و نفثت دخانها بتوتر ملحوظ ، و نهضت مـن مقعـدها ،و تأهبت للمغادرة ، لكن عاطف ، أمسك يدها و أشـار لهـا بالجلوس مرة أخرى و قال في هدوء :

– اجلسي .. اجلسي .

و لما جلست تابع كلامه مرتديًا ثوب الحكماء القدامى :

– كل شئ في العالم له ثمن ، حتى القمامة لها ثمن و لها من يبحث عنها يا سماح ..!!!!

و تركها لدقائق ، و أخذ يجري اتصالاً هاتفيًا و هو يضحك و ينظر لسماح نظرات ذات مغزى ، و لما انتـهى ، عـاد لسماح و قال لها :

– لقد دبرت لكي مصلحة بمبلغ كبير ، استعدي سـيأتي أحدهم لاصطحابك خلال ساعة ..!!!

و هزت سماح رأسها موافقة ، و أخذت تتدخن في شراهة، في انتظار زبونها لتلك الليلة ، و جاء الزبون ، و كـان شـابًا مراهقًا لا يتجاوز السابعة عشرة على أقصى تقدير من عمره ، و نزل من سيارة يشهد كل جزء فيها بالفخامة ، و دخـل المقهى مبتسمًا ، و التقى بعاطف ، ودس له في يده ورقة بمائتي جنيهًا فأشار له بيده نحو سماح ، فزادت ابتـسامة المراهـق

اتساعًا ، و اتجة نحوها ، ليصطحبها معه لسيارته ، و تنطلق نحو مكان اللقاء على عجل ، و لما وصلا الاثنان لمكـــان اللقـــاء ، وكان في شقة في بناية فاخرة في القاهرة الجديدة ، اندهشت سماح ، فداخل الشقة ، كان الجو ملبدًا بـــسحب البـــانجو ، وأربعة مراهقين ، و مثلهم من المراهقات ، يحتسون الخمـــور ، و يرقصون بابتذال على أنغام أغنية شعبية تقول كلماتهـــا : - العنب .. العنب .. العنب ..!!!

و لما دخل صاح في اصدقائه قائلاً في تهكم واضح :

- أعزائـــي .. أحبـــابي ، أقـــدم لكـــم فاتنـــة المطريـــة ومسطرد،.. سماح..!!!

و توقف الجميع عن الرقص بغتة ، و صفق الجميع في حرارة بالغة ، و أشاروا للأثنين بالقدوم ، فاقتربـــت سمـــاح مـــن المجموعة بخطوات بطيئة ، خائفة ، و بعيون زائغة ، و بـــوهن أخذ يتسلل لجسدها النحيل شيئًا ، فشيئًا ، فهي المـــرة الأولى التي تصادف فيها مثل هذا الموقف ، فتاريخها الحافـــل بـــشتى صنوف الرجال ، لم يشهد مثل هذا اليوم مطلقًـــا ، فجـــرت العادة أن تضاجع رجلاً أو اثنين على الأكثر ، لا أربعة كمـــا تشاهد ، كما إنها المرة الأولى التي تقترف فيها هذا الإثم منـــذ توبتها ، لذلك جلست بينهم في توتر ، و قلق شديدان ، و قال لها أحدهم ساخرًا :

- ألن تخلعي ملابسك ..؟ نريد أن نـــرى مفـــاتن هـــذا الجسد..!!

نظرت إلية بدون أي انفعال ، و قامت فخلعت ملابسها ، قطعة تلو الأخرى ، و ما أن انتهت ، حتي ضـــجت الـــشقة بضحكات الجميع دون استثناء ،فمرض الـــسكر ، و ســـنون قسوة ما عايشت و تعرضت له سماح جعل جسدها نحيفًـــا ، هزيلاً كهيكل عظمي مكسو بالجلد ،وتوقف جمـــيعهم عـــن الضحك ، واقترب منها واحدًا منـــهم، و وقـــف خلفهـــا ، و أمسك ردفيها، و بدا و كأنة يضاجعها ، و لكنه لم يفعـــل ، فقط اخذ يصدر صوتًا و كأنه في حال من النشوة ، و أصوات ضحكات زملائه تتعالى مجلجلة من ما يفعله زميلهم ، الـــذي توقف لبرهة ، ليأتي واحدًا آخر ، و يفعل مثلما فعل زميلـــه ، و تسابق كل من في الشقة على فعل ذلك وسط ضـــحكات ساخرة ، ثم نهضت الفتيات و اتجهـــن لـــسماح و بـــدأن في صفعها على وجنتيها تارة ، و على ردفيها تارة أخرى وهـــم يدرن حولها في حلقة و يضحكن ضحكات ماجنة ، خليعـــة ، و فهمت سماح حقيقة ما يحدث ، فالأوغاد يسخرون منـــها ، و يتخذون منها لعبتهم و أضحوكة لهم في تلك الليلة ، القواد الحقير عاطف حنوفة باعها بثمن بخس ليتسلى بهـــا فتيـــان ، و فتيات عابثين ، مخمورين ، مخدرين ، و انهارت سماح تمامًا ، و أحست بدوار يجتاح عقلها من أثر سحب البانجو الكثيـــف بالحجرة ، و لم تعرف ماذا تفعل سوى أن صرخت ، صرخت

و بكت في حرارة بالغة ، صرخت من إحـــساسها بالمهانـــة ، و الذل ، و القسوة ، و المرارة ،صرخت من إحساسها بالعار ، و الخزي من الدنس الذي لوث توبتها لله ، و تذكرت حسين طفلها في هذة الأثناء و هو يسقط من النافذة أمام عيونهـــا ، لينتهي حلمها الذي كانت تعيش من أجلة و .. النافذة نعم ، النافذة ، و في ثوان اهتدت لطريق الخلاص مـــن العـــذاب ، و الآلام ، فدفعت الفتيات من أمامها في قوة ، و هرولت نحو النافذة عارية ، باكية ، و الدموع تنساب علـــى وجنتيهـــا ، و بدون تردد ، ألقت بنفسها منها ، ليهوي جسدها ، و يرتطم بالأرض في عنف وسط صـــراخ المراهقـــات المخمـــورات ، و العجيب أنها لم تشعر بأي ألم ، فمع نزيف الدماء من رأسها في مشهد مريع ،كانت متيقنة أنها ستقابله و تضمه إلى صدرها كما عهدت على الدوام ، و تقول له افتقـــدتك يـــا حـــسين افتقدتك يا حسين .

تشريفة

ساعتان من الزمن ومحروس يشد من قامتــه في اعتــدال ، انتظارًا لمرور التشريفة ، كان يقف ناصبًا قامتة ، مع زملائــة المجندين ، بطول أحد أفرع كوبري السادس مــن أكتــوبر ، انتظارًا لمرور التشريفة . "" لعنة الله علــى التــشريفة ..؟ "" ، جملة ترددت داخل عقل محروس في حنق ، و ســخط بــالغ ، ساعتان انتظارًا تحت أشعة شمس أغسطس الحارقة ، و لم تمــر التشريفة بعد ، الظمأ يكاد يحرق جوفه ، و العرق يغرق زيــه الرسمي ، شبة البالي الذي نهتكت أطرافه ، يا الله أليس هنــاك نهاية لذلك العذاب ..؟ ساعتان من الوقوف ، قدمه تورمــت و لم تعد قادرة على تحمله أكثر من ذلك ، الظمأ ، الظمأ مرة أخرى ، رنا محروس بعينه لأسفل الكوبري ، ليري الرائد أيمن – الذي قام بتنظيمهم و إعدادهم – يشرب عــصير ليمــون مثلج، وهو يجلس أسفل مظلة ، هو و عــدد مــن الــضباط الأخرين ، فسال لعابة من رؤية كــوب الليمــون المــثلج ، و أخرج محروس لسانه ، ليتحسس شفتيه التي تشققت بفعــل حرارة الشمس الحارقة ،و ليرطبهم قليلاً ،لا يعرف لماذا تذكر وداد الآن ، ربما ليتناسى الوقت الذي يمر مر السلحفاة ، و تهل بشائر التشريفة اللعينة ، و يرتاح عذابه ، ســيذهب غــدًا في إجازته لعقد قرانه في البلد على وداد ، ترى ماذا تفعــل هــي الآن..؟ الساعة تجاوزت الواحدة ظهرًا الآن ، ربما تحمل صينية

الغذاء للحاج عبد الموجود والدها الذي ربما يضرب الآن الأرض بالفأس في الحقل الذي يمتلكه ، وداد ليست المرأة التي تمناها أو حلم بها ،وليست كبنات القاهرة التي يشاهدهم دائمًا في الحسن ، و الجمال ، و الأناقة ، و لكنها بنت ناس طيبين ، و بنت حلال،وهو الأهم ،كم يشتاق لفاطمة بنت اخته ، لم يشاهدها منذ آخر مرة نزل فيها لقريته محلة دياب بكوم حمادة، ربما تعلمت المشي الآن ، تركها محروس وهي تحاول المشي بصبر و دون كلل ، الحقيقة أن محروس يشتاق لبلدته الوديعة كلها من أراضيها الطينية الخصبة ، و لون المزروعات الأخضر الزاهي الذي اعتادت عينه على رؤيته منذ الصغر حتى زاوية عبد السلام الصغيرة التي يصلي فيها بانتظام ، لم تبهره القاهرة – باستثناء مسجد السيدة زينب – و تشده لها بسحرها الخاص، لم تبهره الشوارع و الميادين الفسيحة ، أو المتاجر الضخمة الأنيقة ، أو البنايات الشاهقة ، أو حتى الفتيات الجميلات اللائي يشبهن نجوم السينما الذين يشاهدهم في التلفزيون في داره ، فقط وجد محروس القاهرة مدينة مزعجة وقاسية ، و... ، أليس هناك بارقة أمل في مرور التشريفة اللعينة..؟ سؤال تردد في جوانب عقله ، و توقف محروس مليًا عن التفكير في وداد و قريته و القاهرة ، و برز في عقله تساؤل بغتة ، لم تمر منذ ساعتين أي سيارة من أعلى الكوبري ، ترى

هل منعوا مرور السيارات مـــن أعلـــى الكـــوبري إكرامًـــا للتشريفة..؟ و إن كانوا منعوا مرور السيارات بالفعل ، فـــلا ريب أن التكدس و الزحام سيكون خانقًا في الطرق و الشوارع الأخرى البديلة ، تري كم عدد متضرري التشريفة ..؟ يقين محروس يقول له إهـــم بـــالآلاف ، محتجـــزين في ســـياراقم متذمرين، يزمجرون في سخط مثله تمامًا ، كل ذلك من أجـــل التشريفة ..!! لعنة الله على التشريفة ..!! ، قالها محـــروس في أعماقه مجددًا ، ثم رنا مرة أخرى للرائد أيمن ، فكان فرغ مـــن شرب الليمون المثلج ، فابتسم محروس ســـاخرًا ، و قـــال في أعماق نفسه باستهزاء: "" يشرب هو ليمونا مثلجًا ، و يجلس تحت مظلة ، و يأمرنا في غلظة لكي نقف انتباه و هو جـــالس على مقعد وكأنة يصطاف في مارينا ..!! ما مارينا هذة و أين تقع ..؟ سؤال آخر بلا إجابة شافية تريحه ..!!وفجـــأة شـــعر محروس بدوار يجتاح رأسه ، و لم تعد قدمه قادرة على تحمله ، و الظلمة بدأت تحلق أمام عينه ، متى ستمر التشريفة اللعينة..؟، متى ..؟من داخل أعماقه تردد سؤاله مرة أخرى ، ثم لم يعـــد محروس باستطاعته الصمود أكثر من ذلك، فزاغـــت عينـــه، وأحس بالكوبري يهتز أمامه ، و لم يعد قادرًا على التـــنفس ، فوضع يده على صدره ، ثم ســـقط بغتـــة فاقـــدًا للـــوعي ، و العجيب أنه مع سقوطه ، لم يتحرك أحد من زملائه الـــذين

يتراصون بجواره بامتداد الكوبري لمساعدته و نجدته ، خـــافوا أجمعين من عقاب الرائد أيمن إذا ما شاهدهم ، فآثروا السلامة جميعًا ، و لاحت على مطلع الكوبري بشائر الموكب ، فـــشد الجميع قامتهم في اعتدال ، و جسد محروس لا يزال مـــسجي على الأرض ساكنًا ، و تمادى الموكب الذي كان في مقدمتـــه دراجتان بخاريتان كانت إحداهما تطلق صافرة متقطعة ثم سيارة دفع رباعي ، و خلفهم سيارة سوداء لامعة ، حديثة ، فارهـــة بالتأكيد كانت تحمل صاحب الموكب ، و في الـــذيل كانـــت هناك سيارة دفع رباعي أخرى لتأمين الموكب من ..!! لتـــأمين الموكب و كفى .!! ، و لم تلبث ثوان ، حتى مر الموكـــب في سلام ، فتراخت الأجساد المنهكة دفعة واحدة ، و زفر الجميع في ارتياح ، و جاء الرائد أيمن مهرولا في اتجاه محروس بعدما لمح جسدة متكومًا من بعيد ، و نظر لجسده المـــسجى علـــى الأرض ، و أمر أحد الواقفين بجواره أن يتفحـــصه ، قـــائلاً في تهكم :

– ابن الكلب بسلامته ، موطنة الأصلي بـــاريس ، فلـــم يتحمل أشعة الشمس ..!!!

فأمسك احد المجندين جسد محروس ، و أسند ظهره علـــى يده ، و حاول أن يوقظه بأن أخذ يصفعه برفق على وجنتيـــه عدة مرات و هو يناديه باسمه ، لكنه لم يـــستجب ، و ظلـــت

ملامحه جامدة ، حتى دنا منه ، ووضع أذنة على موضع قلب محروس و هو يرهف سمعه أكثر ، و ظل لثوان كذلك ، حتى وضع جسد محروس جانبًا مرة أخرى على الأرض ، و هتف في ارتياع موجهًا حديثه للرائد أيمن :

– لا أسمع ضربات قلبه ، يا إلهي .. لقد مات محروس .. مات محروس ..!!!

– مات ..؟

قالها أيمن في استنكار ، و اتسعت عينه من الدهشة ، ثم تراجع للخلف على عقبية ، و هرول مسرعًا ، ليخبر قيادته ، لاتخاذ ما يلزم ، وتوفي محروس بهبوط حاد في الدورة الدموية في ذلك اليوم ،بعدما جاءت الإسعاف متأخرة لإسعاف المجند المسكين ،وبالرغم من وفاته ، ظل السؤال الأبدي الذي مازال يتردد في عقل كل المجندين و غيرهم ، و هم يتراصون بالساعات انتظارًا لمرور مواكب المسئولين هو ""متى ستتم التشريفة اللعينة ..؟ ""



تكليف وزاري



جلس يوسف سراج الدين على مقعده المفضل في شـقته التي تطل على نيل القاهـرة ، و هو يمسك هاتفه المحمـول ، متطلعًا إلى شاشته بكل ترقب ، و لهفة ، و شغف .

فالثواني المقبلة ، سوف تشهد اتصالاً سوف يغـير حياتـه للأبد ، و يسطر اسمه في التاريخ ، و يجعله واحدًا مـن أقـوى الرجال و أوسعهم نفوذًا في مصر كلها ،سوف يتلقى اتـصالاً من عز العرب التوني أرفع مسؤول في الحزب الحاكم ، يبـشره فية بتكليفه من قبل رئيس الجمهورية بتشكيل وزارة جديدة — بحسب ما يتردد في أروقة الحزب الحاكم - ، و هكذا يتحـول من مجرد وزيرًا للإسكان في الحكومـة الحاليـة ، إلى رئـيس للوزراء.

و برقت عين يوسف سراج الدين، و بدا منتشيًا ، و هـو يتخيل نفسه رئيسًا للوزراء ، حتى تصاعد سقف طموحاتـه ، و تخيل نفسه و قد أصبح رئيسًا للجمهورية ، يشاهد من أحد شرفات القصر الجمهوري جموع الجماهير الغفيرة ، الحاشدة ، التي تهتف له و تقول :

- بالـروح بالدم .. نفديك يا زعيـم ..!!!

و في سعادة غمرته تمامًا ، تذكر يوسف اليوم الذي أتـى فيه من المنيا للقاهرة للعمل في وزارة الإسـكان ، و كيـف دارت و تبسمت له الأيام ، و تحول من مجرد موظف متواضع

في الوزارة إلى مدير مكتب الوزير شخصيًا ، و لم يكن يوسف يجرؤ على أن يحلم بذلك المنصب حينذاك حتى لو عثر على مصباح علاء الدين نفسه ، لولا أنه يتمتع بشيئين ، الأول لسان فصيح ، بليغ ، مدعمًا بنفاق جلي ، إضافة لحضور و كاريزما مدهشة ، الثاني انضمامة لعضوية الحزب الحاكم، فصداقته مع رجال ، و أقطاب الحزب الأقوياء ، مكنته و أهلته من الصعود المذهل في الوزارة ، متخطيًا اقرانة من ذوي الكفاءات ، و المؤهلات حتى أصبح في غضون سنوات قلائل وزيرًا للإسكان .. و لأن يوسف سراج الدين ذو بصيرة و عقلية نجيبة ، و وعي تام بخلفيات السياسة الداخلية ، فقد آمن أشد الإيمان ، بأنه هو — أو غيره — ، إذا خرج يومًا ما من باب السلطة ، فلن يعود مجددًا ، لذلك فمنذ الشهر الأول ، الذي تولى فيه وزارة الإسكان ، عمد إلى تأمين مستقبله — ماليًا- عن طريق إبعاد ، و نقل الشرفاء ، و أصحاب الذمم ، و الضمائر اليقظة إلى إدارات أخرى بالوزارة ، تلافيًا لألسنتهم و ما قد يثيروه من مشكلات ، مقابل أن احل بدلاً منهم الحائزين على ثقته ممن كانوا يعملون معه في منصبه السابق كمدير لمكتب وزير الإسكان و الذين يغضون أبصارهم عن عملياته ، ليبدأ طريقًا آخر نحو الثراء كان قد بدأه حينما كان مدير لمكتب الوزير ، و عندما قفز و بات وزيرًا ، توحش ، وازداد طمعًا ، و شراهة تجاه المال و أصبح طريقه سهلاً ، ناعماً معبداً نحو عالم الثراء الواسع بلا أي قيود .

العمولات ، و الرشاوى هما الثنائي الـــذي صـــنع ثـــروة يوسف سراج الدين و التي تقدر بنحو مائـــة مليـــون دولار ، فإرساء مناقصات تتبع وزارة الإسكان — بـــالأمر المباشـــر — لإنجاز مشروعات ضخمة ، عملاقة ، لشركات بعينـــها دون الأخرى — بالرغم من أفضلية عروضـــها — ، و بيـــع أراض بمناطق مميزة بمصر ، بثمن بيع للمتر أقل مـــن الـــثمن الفعلـــي للسوق لحساب رجال أعمال و مستثمرين ثم يقومون ببيعهـــا بالسعر الأصلي للسوق و غيرها من أشكال التربح الغير شرعي الذي كان يأتي بالخير الوفير له في حساب خاص بأحد بنـــوك بيروت — و اختار بيروت لأن زوجته تتردد بصفة دورية على أحد مراكز التجميل هناك كما تـــصف التـــسوق بـــبيروت بالمتعة...!!! .

وحك يوسف ذقنة بسبابته ، وبان عليه التفكير المتعمق ، و هو يفكر في الطريقة المثلى للتخلص من العبـــودي رئـــيس الجهاز المركزي للمحاســـبات ، الـــذي أورد الكـــثير مـــن الملاحظات في تقاريره حول أداء وزارة الإسكان ، و ما يشوب الوزارة من مديونيات هائلة ، و سوء إداري و تخطيطي نتج عنة إهدار مريع للمال العام بحسب تقريره أمام مجلس الشعب .

و ضغط يوسف بيدة على هاتفسه المحمـــول في غـــيظ ، و غضب عارم ، و هو يتذكر تلـــك اللحظـــات في مجلـــس

الشعب، والعبودي يقوم بقراءة التقرير ، و لم ينقذه حينذاك سوى رفيق الدرب عز العرب ، الذي شمر عـــن ســـاعديه ، و انبرى في الدفاع عنه ،وجعل قاعة مجلـــس الـــشعب تـــضج بالتصفيق الحار له ، لترجع الدماء لعروقه مرة أخرى ..

و انبسطت أسارير يوسف، و ابتسم ابتـــسامة بـــسيطة ، و عاهد نفسة أن يرد الدين، و المعروف لعز العرب صـــديقه ، و رفيقه و شريكه في كل شئ بدءًا من عضوية الحزب و حـــتي عملياهما المشتركة سويًا ، فكان عز العرب و لا يزال صـــمام الأمان الذي يحميه ، و يستره من شرور العبودي و غيرهم من هواة النبش وراء الآخرين .. و غاص يوسف في مقعدة الجلدي الوثير أكثر ، و انشرح صدره من نسمات هواء نيل القـــاهرة أكثر و أكثر ،وأخذه التفكير – بعد ما اعتبر نفـــسة رئيـــسًا للوزراء – في الوزراء الذين سوف يختارهم ، و يعرض أسمائهم ، و سيرتم الذاتية على الرئيس ليبت في أمرهم ، وأخذ يفكـــر أيضًا في سبل تنمية ثروته في ضوء المنصب الحـــالي و الـــذي بالتأكيد سينهل من وراءه كيفما شاء ،ولن يعد هنـــاك فـــردًا واحدًا قادرًا على إيقافه ، فمن يجرؤ على محاسبة الرجل الثـــاني في الدولة و .... و دوي رنين الهاتف ، و كان عـــز العـــرب هو المتصل ،و بلهفة امتزجت فيها الفرحة قال يوسف :

– نقول مبارك على رئاسة مجلس الوزراء يا عز العرب و..

- كارثة .. كارثة يا يوسف .. انكشف كل شيئ .. انكشف كل شيئ ...؟

- انكشف كل شيئ ..؟ عن ماذا تتحدث يا عز ..؟

- قالها يوسف في استنكار امتزج بتوتر ملحوظ ، حتى أتاه رد عز العرب قائلاً في لهجة حملت توترًا مصحوبًا بعصبية : الرقابة الإدارية .. هيئة الرقابة الإدارية عرفت كل شيئ ، اتضح أنها كانت تعرف كل شيئ منذ فترة ، رجال الشرطة اقتحموا مكتبي ، و مكتبك بالوزارة ، وصادروا كل الملفات و الأوراق الهامة و النقود السائلة ،صادروا كل شيئ؛ لقد قررت مغادرة البلاد فور علمي بتلك الأحداث ، أنا أتحدث إليك و أنا على متن يختي الخاص متجهًا ل .. و لكن مهلاً .. لا يهم أن تعرف وجهتي .. ربما يتصنتون على هاتفك الآن ، اهرب يا يوسف اهرب.. غادر البلاد بأقصى سرعة اهرب .. إنهم قادمون إليك.. اهرب ربما هم صاعدون على السلالم الآن و معهم إذن من النيابة بالقبض عليك اهرب .. اهرب .

و أعقب ذلك بأن أنهى الاتصال بدون كلمة واحدة ، لينقبض قلب يوسف ، و يشحب وجهه و يمرر يده على شعره في عصبية و ذهول و كأنه لا يصدق ما يحدث ، ثم هب من مقعده في سرعة ، كالمصعوق من تيار كهربي ،و أخذ

يهذي بكلمات و جمل غير مترابطة ،وغير مفهومـــة مثـــل : كيف، هل انتهى الأمر ، اهرب ، الرقابة الإدارية ، الشرطة..!

ثم ألقى بالهاتف جانبًا في عنف،ودلـــف لحجـــرة نومــه ، وخلع ملابسه في سرعة ،و ارتدى واحدة من البدل في دولابه في عجل ، ثم أخذ رزمة أوراق نقدية ضخمة من فئـــة المائـــة دولار ، كانت ملقاة في إهمال واضح بجوار فراشه ، ووسع من خطواتة متجهًا لباب شقته ،وما كاد يضع يده علي المقـــبض، حتي سمع طرقات عنيفة على باب شقته ، و صوت حاد يهتف من خارجه :

– مهندس يوسف سراج الدين، من فضلك افتح الباب ، أنت مطلوب للتحقيق ، افتح مـــن فـــضلك ، أعلـــم أنـــك بالداخل..!! وتراجع يوسف للخلف في ارتيـــاع مـــصحوبًا بعيون ذاهلة ، مع تصاعد الطرقات العنيفة على باب الـــشقة ، و لم يعرف ماذا يفعل، فالشئ الوحيد الذي لم يكن في حسبانه، هو أن انكشفت عملياته في أحد الأيام ، فمـــا هـــي التـــدابير الوقائية التي سوف يتخذها ، و تذكر فجأة مع تصاعد حـــدة الطرقات ، أنة يمتلك الشقة المجاورة لشقته ، والـــتي لا يعـــرف أحد أنها ملكًا له ،و لم ينتظر ثانية واحدة ، إذ قرر أن يهرب من الشقة عن طريق البلكونة سيرًا على الإفريز، وصولاً إلى شـــقته المجاورة ، و في سرعة ، اتجة للبلكونه ، و اخرج قدمة اليمني ، ثم اليسري لخارجها ، ثم بدأ في السير خطوة تلو الأخرى على

عقبيه في هدوء لاصقًا ظهره للحائط ، متحاشيًا النظر لأسفل ، حتى لا يصاب بالذعر ، و في هذه الأثناء ، سمع صوت كسر باب الشقة ، و أصوات أقدام قوات الشرطة، وهي تدخل شقته، و أحدهم يقول في صرامة :

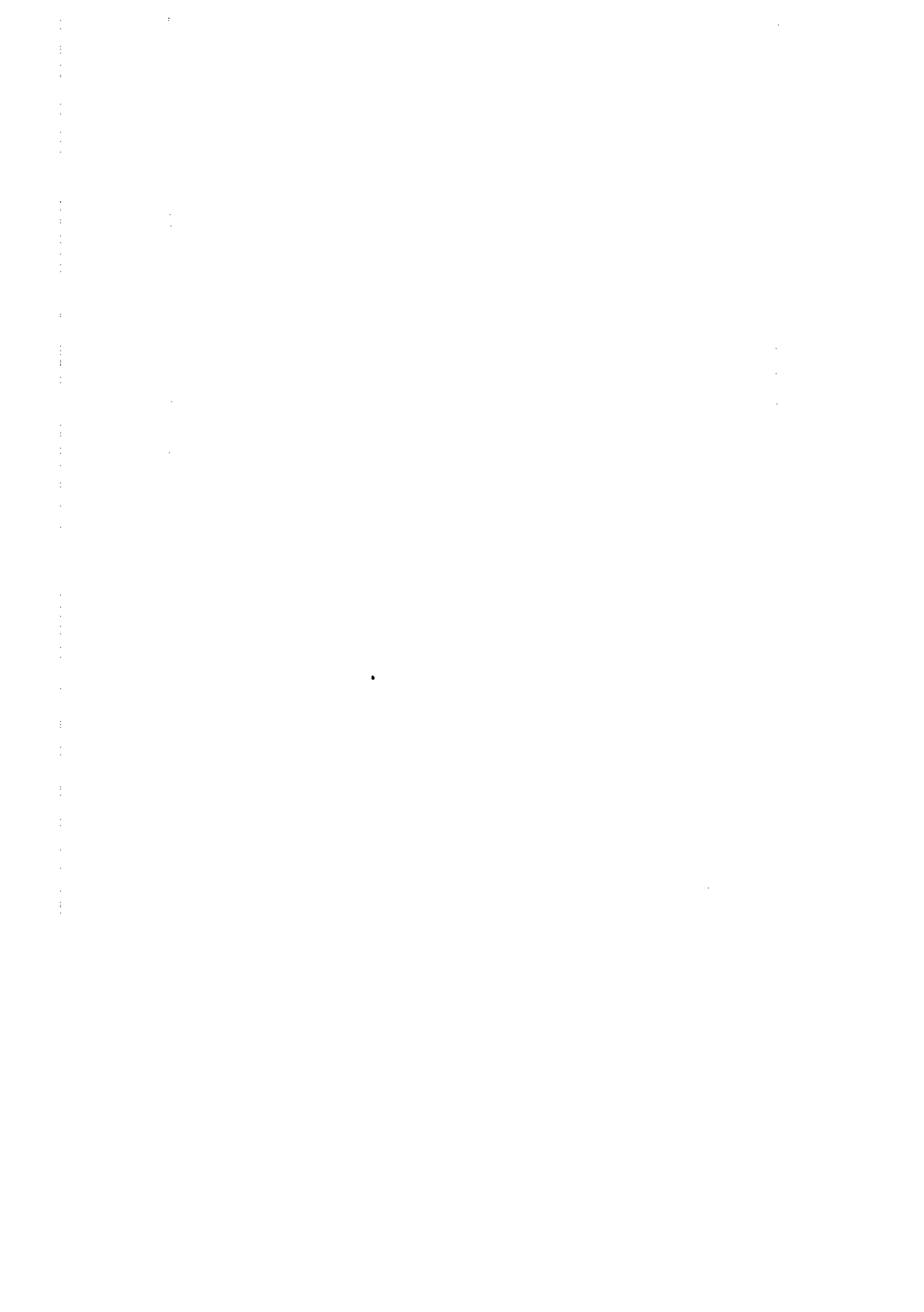
– قوموا بالتفتيش

وعند سماعه تلك الجملة ، اصابة الاضطراب،وحاول أن يوسع من خطواتة قليلاً، لكن توازنه اختل ، و مال يمينًا ويسارًا وهو يشهق في رعب ملوحاً بكلتا يديه في الهواء محاولاً في يأس استعادة توازنه أو التشبث بأي شئ وهمي، ولكنه هوى من الطابق التاسع، مطلقًا صرخة فزع هائلة تردد صداها في المنطقة بأسرها، انتهت عندما ارتطم جسدة في عنف على سيارة الشرطة التي كانت متوقفة أمام مدخل البناية التي يقطن فيها محدثًا دويًا هائلاً ،جعل من في الشارع ينتفضون في فزع وذعر،وهم ينظرون لجثة وزير الإسكان وقد هشمت جمجمتة وخرج منها المخ في مشهد يجلب الغثيان، واختلط بقطع زجاج السيارة الأمامي الذي تهشم بدورة، ومع اقتراب الفضوليون والمتفرجون من موقع الحادث الرهيب، لم يكن يعنيهم التقاط صورًا أو تسجيلاً بالفيديو بهواتفهم المحمولة لجثة سيادة الوزير المرشح لرئاسة الوزارة الجديدة لأنهم لم يعرفوا شخصيته أبدًا، بقدر عنايتهم بالتقاط الدولارات التي تناثرت حول السيارة والجثة.



مباشر

جميع أحداث تلك القصة هي من خيال مؤلفها ، و ليس لها أية صلة بالواقع أو إنها تحدث في مجتمعنا.



((١))

"" سيداتي آنساتي ، سادتي ، .. مساء الخير ... ، نرحب بكم في حلقة جديدة من برنامجكم الأسبوعي "" مسؤول وأسئلة جمهور "" ، يسعدنا أن يكون في ضيافتنا في تلك الحلقة وعلى الهواء مباشرة و بمناسبة عيد الشرطة ، السيد اللواء / زين أبو طالب، الذي سيسعده بالطبع أن يرد على جميع أسئلتكم واستفساراتكم و ذلك من خلال أسئلتكم الموجهة إليه عن طريق هاتفنا المبين على الشاشة .

التفتت هناء متولي مذيعة قناة الوطنية الفضائية ، لزين أبو طالب و قالت و ابتسامة كبيرة تعلو و جهها :

– سيادة اللواء نرحب بك في برنامجنا و نقدم لك أسمى التهاني بمناسبة عيدكم .. عيد الشرطة ، و لا يسعنا سوى شكرك على قبولك دعوتنا للظهور في البرنامج على الهواء مباشرة .

اكتست ملامح اللواء زين بالتجهم ، وبدا متأنقًا في زيه الرسمي ، الذي ازدان بالرتب والنياشين و قال باقتضاب :

– كل عام و أنتم بخير و جميع أفراد الشرطة بخير و سلام ، ونحن و جميع أفراد الحكومة في خدمة أفراد شعبنا دائمًا .

كانت الابتسامة لا تزال تفارق وجه هناء ، فسألت زين قائلة :

- سيادة اللواء ، كيف ترى الأمن الآن في البلاد بعد القضاء على الإرهاب ...؟

تراجع زين أبو طالب بظهرة للوراء ، و غاص في مقعده الجلدي الوثير أكثر ، و قال في لهجة آلية ، و التجهم لا يفارق قسمات وجهه :

- الأمن في البلاد بخير .. ، بل أقول بكل ألف خير ، بفضل القيادة الحكيمة لزعيمنا وتوجيهاته المستمرة لنا بضرورة توفير الأمن والأمان للمواطن، ولا يسعني سوى القول، إننا لن نقبل بمن يمس أمن بلادنا بسوء،و سوف نسحق ،ونقضي على كل من تسول له نفسه إلحاق الأذى أو الضرر بالبلاد .

طالعت هناء متولي مجموعة أوراق كانت بحوزتها ، ثم قالت:

سيادة اللواء، نأتي هنا لقضية أخرى ، شكاوى عديدة نقرأها، ونسمعها يوميًا عن بعض المضايقات و المعاملات غير اللائقة التي يلقاها المواطنين في أقسام الشرطة ، ما مدى صحة هذه الشكاوي ...؟

قال زين في جدية اكتست بالصرامة :

- كذب .. كذب ،وادعاءات وافتراءات لا أساس لها من الصحة ، وهدفها الأول والأخير تشويه صورة جهاز الشرطة في عقل ومخيلة المواطنين،جهاز الشرطة العظيم الذي يتجرع كئوس العذاب و المعاناة في سبيل راحة و إسعاد المواطنين .

قالت هناء بهدوء :

- أتعني سيادتكم أنــه لا توجــد تجــاوزات في جهــاز الشرطة..؟ هز رأسة إيجابًا و قال :

- نعم ، لا توجد أدنى تجاوزات ، يمكنني أن أقول ذلــك ونفسي تملؤها الثقة ، ولكن من الممكن أن أقول أن هناك بعض من الهفوات الصغيرة التي تحدث بين الوقت و الوقت و الآخــر من بعض من أبنائنا الضباط،ولكننا،وأقولها لك بكل يقين، إننا نتعامل معها بكل حزم ،وشدة لأننا لا نقبل أن تمــس كرامــة المواطن في وطنه أبدًا بأي شكل من الأشكال ...!!!!!

- بالتأكيد .. بالتأكيد سيادة اللواء و ...

لم تكمل جملتها إذ وضعت يدها علي أذنها و استطردت :

- معنا اتصال .. معنا اتصال من المواطن ....

صمتت لبرهة و استطردت :

- أنور عبد ربه .. معنا الأستاذ أنور عبد ربه .. أستاذ أنور مرحبًا بك في برنامجنا " مسؤول و أسئلة جمهور " .. يا تــري ماذا تحب أن تقول لسيادة اللواء ، و للشرطة في عيدها ..؟

في سعادة و بصوت تغمره الفرحة قال الرجل :

- أحب أولاً أن أهنئ سيادة اللــواء ، وجهــاز الــشرطة بعيدهم السنوي،وأود أن أعرب عن مــدي امتنــاني لرجالنــا

العظام، وجهودهم الفائقة في الحفاظ على أمن المـــواطن،و لا تفوتني تلك المناسبة بدون أن أتقدم بالتهاني للـــسيد الـــرئيس القائد العظيم في عيد الشرطة داعين الله أن يمتعه الله بالـــصحة والعافية .

رسم زين ابتسامة بسيطة علي وجهه و قال :

- شكرًا .. شكرًا .

- الو ..؟ .. الو

- الو .. تفضل أنت على الهواء مباشرة في برنامجنا .. ممكن أن أتعرف بالاسم ..؟

- منصور إبراهيم موظف بوزارة الزراعة .

- مرحبًا بك أستاذ منصور ، تفضل ســـيادتك ، ســـيادة اللواء معك على الهواء مباشرة .

تنحنح منصور وقال بهدوء :

- بالتأكيد لا يسعني هنا سوى تقديم التهنئـــة للـــشرطة في عيدها و ..

سكت لوقت ، ثم استطرد في تلعثم :

- و لكن لدي مشكلة أود أن اعرضها على سيادة اللـــواء و..

– قاطعه زين :

– يمكنك أن تتقدم بمشكلتك لمدير المكتب الإعلامي الخاص بالوزارة ، و كن على يقين بأنها سوف تلقي حل بمشيئة الله .

– أشكرك يا سيادة اللواء .. كل الشكر و التقدير لك وهذا عهدنا بالشرطة دائمًا .

– معنا اتصال آخر من ..؟ كمال ..؟ تفضل يا أستاذ كمال .

و لنصف ساعة متصلة ، استقبل البرنامج عدد من المكالمات الهاتفية ،والتي أشادت فيها جميعًا ، بمجهودات وزارة الداخلية، و الدور الذي تمارسة الشرطة في إقرار الأمن و الأمان في داخل البلاد ، كما تحدث زين عن منجزات الوزارة ، و تطور أساليبها في الكشف عن الجرائم ومكافحة الإرهاب، حتى قالت هناء و هي تبتسم :

– و الان نعاود استقبال مكالمات المواطنين الهاتفية ، من معنا ..؟ خالد مصيلحي تفضل يا أستاذ خالد،سيادة اللواء معك على الهواء مباشرة

– ......

- أستاذ خالد، هل لازلت معنا ..؟

لثوان لم تتلقي هناء أي رد ، حتي خيل لها أن الاتصال قد انقطع ، و لكن صوت هادئ وقور انساب لأذنيهما — هي وزين — بغتة و قال :

- مرحبًا .

- مرحبا بك ، تفضل .

- أولا أنا لست خالد يمكنك أن تدعوني بالمواطن م..!! بانت الدهشة على ملامح هناء،حتى عاود م تحدثه قائلا بلهجتة الهادئة الوقورة :

- سيادة اللواء، ابنك شريف بحوزتي، أنا اختطفت ابنك شريف و ....

انقطع الاتصال بغتة ، ومعه قالت هناء في اضطراب :

- أعزائنا المشاهدين،فاصل ونواصل معكم لقائنا بسيادة اللواء .

و مع آخر حروف كلامها ، أصيب استدوديو التصوير كله بحالة من الارتباك ،ونهض زين من مقعده كالملسوع من عقرب،وأخرج هاتفه المحمول ، وضغط على زر الاتصال السريع ، ووضع الهاتف على أذنيه،ولثوان ظل الهاتف يرن دون

مجيب ، حتى جاء الصوت الوقور الهادئ من الطــرف الآخــر يقول :

- قلت لك شريف ابنك في حوزتي .

امتقع وجة زين،وأحس كأنما الأرض تتحرك مــن تحــت قدميه، ثم قال بتوتر :

- اسمع أيها الحقير ، لو أن تلك دعابة سو...

بتر عبارته فجأة ، عندما أتاه صوت شريف قائلا بــصوت يختنق من أثر البكاء :

- والدي ، ميم اختطفني ، أرجوك افعل ما يأمرك به حتى أعود سالمًا لك .

و انقطع صوت شريف ، ليصيح زين في عصبية :

- شريف .. شريف أجبني يا بني .. أجبني بالله عليك ..؟

لم يتلقَ سوى الصمت ، حتى عاود م التحدث قائلاً :

- كان هذا تسجيل لابنك شريف قبل ســاعة واحــدة ، اطمئن هو بخير و أمان ، و سيظل كذلك ، و أعدك أن يعــود لك سليمًا معافى ، بشرط واحد ..!!!

- من أنت أيها الحقير ..؟ من أنت ..؟ هل تعــرف لــو مسست ابني بسوء ماذا سأفعل بك ..؟ لن يكفيني أن أمزقــك إربا و...

ضحك م ضحكة ساخرة ، و قال في تهكم :

- يا ترى من يهدد من في ذلك الموقف ..؟

صاح زين في عصبية امتزجت بحدة :

- هل تعرف أن ....

قاطعه م في صرامة :

- اسمع .. اسمع و انصت جيدًا لما سأقوله لو كنت بالفعل تريد عودة ابنك للمترل ، سوف تعود مجددًا للظهور على الهواء مباشرة في البرنامج ،وبعدها سوف اتصل بك مجددًا ، فلدينا الكثير لنتجادل فيه .

صرخ فيه زين :

- على الهواء مباشرة ..؟ هل أصابك مس من الجنون ..؟

- على الهواء مباشرة ،وإلا سيعود لك ولدك جثة هامدة .

- ولكن ..

- على الهواء مباشرة و أمام الملايين .

و انقطع الاتصال بغتة ، ليصيح بعدها زين :

- الو .. الو م،م أيها الحقير .. أيها الحقير ..!!!!

وألقى زين نفسه على أقرب مقعد له ، ومرر يـــده علـــى شعره في حركة عصبية،وعاود الاتصال مجددًا مـــن هاتفـــه، ثم صاح في ثورة عارمة :

– اختطف شريف من أمام أعيـــنكم يـــا أغبيـــاء ، و الله لاعتبرنكم متورطين في عملية الاختطاف و لألقـــي بكـــم في السجن مدى الحياة .

و أنهى الاتصال سريعًا،واقتربت منه هناء في حذر،وقالت :

– سيادة اللواء ، أعرف أن الموقف شديد الحساسية ، قلوبنا معك و ..

– أليست كل الاتصالات الهاتفية منسقة و معدة مسبقًا مع فريق الإعداد ..؟

بتلعثم قالت هناء :

– نعم .. هي كذلك و لكنني لا أعرف كيف حدث ذلك و...

قال لها باستنكار :

– لا تعرفين ..؟ حسنًا سنتناقش ذلك فيما بعد ..!!

ثم استطرد كلامه قائلاً :

– سنظهر مجددًا على الهواء ..!!

تبادل طاقم الأستوديو مع هناء نظرات الدهشة ، و لما رأى حجم دهشتهم قال بحدة :

– الحقير يريدني على الهواء مباشرة وإلا سيصيب شـــريف بسوء .

– ولكن سيادتك ..

امسك ذراعها في قسوة و قال لها بحدة :

– سنعاود الظهور على الهواء مجددًا لأعرف ما الذي يريده مني هذا الحقير ، هل تفهمين ..؟ أنا المسؤول هنا ، اســـتعدى أنتِ و طاقمك لمعاودة البث .

ثم ترك ذراعها في عنف،لتذهب هـــي لمخـــرج البرنـــامج مسرعة، وسط حالة من الفوضى العارمة في استوديو التصوير، بينما أخرج زين هاتفه مرة أخرى،وطلب رقمًا ، ثم قال في نبرة حادة :

– سمير .... عرفت ما حدث ..؟ نعم .. اسمعني جيـــدًا.. حياة ابني في خطر تابع أنت و رجالك الموقف،أريـــد أن أرى شريف بعد نصف ساعة من الآن،هل تفهم يا سمـــير أريـــد أن أرى ابني،وأريد أن تقبضوا على ذلك الحقير م لأمزقن جـــسدة بيدي ، خذ رقم الوغد .

و أخذ يملي مساعده الرقم الذي يتكلم منه م ، حتى أتـــاه صوت سمير مساعده في صوت آلي :

– تمام سيادتك ، اطمئن سيادتك سنعثر على ابن سيادتكم و نعيده إليكم سالمًا .

– ابلغني بموقف و سير العملية أولاً بأول .

و أنهى الاتصال ، ليزفر في قوة ، و يفرك عينـــه في تـــوتر و عصبية و كأنه لا يصدق ما يحدث .

((٢))

"" سيداتي آنساتي ، سادتي ، .. مساء الخير ... عدنا لكم بعد الفاصل مع ضيفنا وضيفكم الليلة سيادة اللواء زين أبو طالب لنستكمل حديثنا معه في عيد الشرطة و...

– لقد عاد السيد م ليستكمل حديثه معنا ..!!

قالتها هناء في ارتباك واضح عندما أشار لها المخرج باتصال م ، بينما قال زين في حدة :

– ها أنت ذا على الهواء مباشرة ، قل لي ما لديك ...؟

و لم يتلقَ رد من م، فهتف في حنق :

– قلت لك تكلم ، تكلم ..؟

– الآن تبدو في عصبية شديدة و اختفت ملامحك الباردة ، الصارمة التي ترسمها على وجهك .

كانت تلك الكلمات لميم ، الذي قالها في هدوء عجيب ، ثم استطرد كلامه قائلاً :

– تمتلك السلطة و القوة ، و إذا بك تستخدمهم بكل سوء، أعني سوء استغلال السلطة و القوة .

و سكت مليًا ، و بدا أنه سوف يقول شيئًا عندما صرخ فية زين :

– لا مجال هنا لخطبك الحماسية، نحن فعلنا و سنفعل مـــا يرضي ضمائرنا أمام الله .

– فعلت ما يرضي الله ...؟

و أطلق م ضحكة ساخرة و استطرد :

– اشك في هذا ،اعتقد أنت فعلت فقـــط مـــا يرضـــيك و يرضي رؤسائك عنك .

وسكت مليًا كعادته ، و عاود الكلام قائلاً :

– كان سيدنا (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه ينام تحت الشجرة بلا أدنى خوف لثقتة أنه لم يظلم أحد من رعيتة .

و هم أن يواصل حديثة ، لكن زين قال لة بنبرة حادة :

– قلت كفاك خطبًا .. ماذا تريد مني ..؟ ما الذي دعـــاك لاختطاف شريف ..؟

تنهد م و قال في هدوء :

– معك حق،كفانا خطبًا ، الوقت يمر في ســـرعة ، نـــأتي للحدث الرئيسي .

و في مرارة ظاهرة من نبرات صوتة استطرد م :

– هل تتذكر أحداث الجامعة التي جـــدثت قبيـــل ســـنة ، أحداث الجامعة تلك المظاهرة البسيطة التي قـــام بهـــا طـــلاب

الجامعة احتجاجًا على صدور قانون يقيد حرية الصحفيين ، طلاب في مرحلة الشباب ، يخرجون في مظاهرة سلمية ، تكون النتيجة مقتل واحدة من هؤلاء ..؟

و بصوت مختنقا من أثر البكاء ، قال م :

- قتلت ريهام، قتلتها برصاصة من مسدسك الذي يفترض أن تطلق منه الرصاص على المجرمين،لا المتظاهرين الأبرياء ، قتلتها بدم بارد، و بقلب قاس غليظ متحجر.

و انفجر م باكيًا ، و تعالى صوت نحيبه في الاستدوديو ، حتى سألته هناء في فضول :

- و من ريهام هذه يا سيد م أهي زميلتك ..؟

نظر لها زين في غضب و استنكار ، حتى قال م :

- ريهام .. ريهام .. إنها حبيبتي .. إنها ملاكي البرئ، قتلها زين أبو طالب ضيفك،قتلها بدون أي رحمة أو شعور بالإثم ، أزهق روحًا بريئة جاءت تعبر عن إرادة الشعب بسلام ، تركها تنزف حتى الموت،ورفض دخول سيارة الإسعاف لمكان المظاهرة لتذهب بها إلى أقرب مستشفى ، ريهام حبيبتي ذهبت لعالم بلا رجعة فيه ، و السبب أنت.. ، أنت يا زين أنت قتلتها دون شفقة أو رحمة ، قتلتها بكل خسة، و قسوة و شراسة و ..

قاطعه زين في حدة :

- هل تحملني مسئولية مقتل حبيبتك ..؟ حتى الان لم يعرف من قتل هذة الطالبة ، لقد كانت المظاهرة كبيرة و ضخمة ، و حاشدة ، و الفوضى كانت عارمة و لم يعرف أحد كيف استقرت الرصاصة في صدرها ، النيابة انتهت لهذا .

صاح فيه م في استنكار امتزج بحدة بالغة :

- لا .. لا يا زين، أنت قتلتها ، كنت بجوارها في هذا الوقت و شاهدتك و أنت تصوب مسدسك نحوها ، و تطلق الرصاصة لتستقر في صدرها ، أردت أن ترهب الطلبة ، فقتلت ريهام عامدًا متعمدًا ، و لم تحاسب ، اعترف أنك قتلتها .

- لم أقتلها ، قلت لك ذلك .

- اعترف أنك قتلتها،اعترف أمام الملايين أنك القاتل ، اعترف و إلا دفع ابنك الثمن .

هتف زين في جزع :

- لا .. لا شريف لا .

وبدا أنة يريد أن يقول شيئًا ما ، و لكنة ظهر مترددًا ، حتى استطرد بخفوت :

- نعم قتلتها ، قصدت إرهاب الطلبة حتى لا تمتد المظاهرة، و تتجة لقلب الميدان و ينضم لها جموع من الجماهير، فتتفاقم

الأحداث ، و تتعقد ، و تخرج الأمور عن نطــاق الــسيطرة ، فخرجت الرصاصة و استقرت في صدرها .

قال م في ارتياح :

– إذن أنت تعترف بقتل روحًا بريئة دون ذنب ، تهنئتي لك يا سيادة اللواء ، لقد تابع اعترافك الملايين ، و لم يتبقي سوي القصاص .!!!!

– القصاص ؟

قالها زين في استنكار ممزوجًا بالدهشة ، فقال م و قد عــاد لهدوئه :

– سيادة اللواء ، هل أنت مستعد لمقايــضة حيــاة ابنــك بحياتك ؟

– حياة ابني بحياتي ؟ ماذا تقصد بذلك ؟

اجابه م في برود :

– ستعرف بعد قليل .

و في هذة الأثناء ، كان اللواء سمير مساعد زيــن الأول ، يتابع الموقف مع مجموعة من ضباطة ، الذين قــاموا بتــشكيل غرفة عمليات صغري للكشف عن م ، و في توتر قال سمير :

– أريد أن أعرف التطورات التي حــدثت قبــل أربعــين دقيقة..؟

قال أحد الضباط في حماس :

- بالعودة لشركة الاتصالات التي يجري من خلال شبكتها المدعو م اتصاله بسيادة اللواء ، تم تحديد موقعه،وهو في مصر الجديدة،في أحد أحيائها ، دقائق سيادتك ، و سيكون م في قبضتنا لا محالة .

قطب سمير حاجبيه ، و قال :

- و هل عرفتم من هو ..؟

هز أحد الضباط رأسه نافيًا و قال في تأسف واضح :

- لقد ابتاع م ، خطًا جديدًا صباح اليوم من أحد متاجر العباسية ، و لم يملأ بيانات عقد الخط كما هو متبع ، لكن سيادتك ، صاحب المتجر أعطانا أوصافًا لميم قد تساعد رجالنا في مهمة بحثهم .

- إذن ..؟

قالها سمير مستفسرًا من ضباطه الجالسين على مقاعدهم أمامة ، و هو يرمقهم بنظرات تحوي التماس الرد الحازم ، حتى قال أحدهم :

- لا يسعنا سوى الانتظار، حتى ينجح رجالنا في الإيقاع بميم قبل ما تتفاقم الأمور،و ليكن الله في عون و سند سيادة اللواء .

أنهى حديثه الضابط ، وواصل هو وزملائه و اللواء سمير متابعة زين،وم في شاشة التلفزيون في حذر ، و ترقب شديدين.

((٣))

"" إنها مهزلة ..!!! ، مهزلة إعلامية بكل المقاييس ""

في حدة بالغة صاح بتلك الكلمات وزير الإعلام موجهًا حديثه لرئيس قناة الوطنية الفضائية ، الذي تصبب عرقًا ، و ارتسمت على وجهه معالم الارتباك الواضح ، و تابع الوزير:

جاء اليوم الذي نشاهد فيه محاكمة تنصب علنًا على الهواء مباشرة ، و بين من و من ..؟ لواء كبير بالوزارة و شاب مجنون..!! قل لي ، أي نوع أنت من الرؤساء الذي يسمح بحدوث ذلك في القناة ..؟ هل تعرف ماذا صنعت ..؟ إنها فضيحة ، فضيحة و مهزلة إعلامية ، لا يراودني أدنى ريب أن نتائجها سوف تكون خطيرة ، و سوف نحاكم على هذا .

قال رئيس القناة بتلعثم :

- إنة زين أبو طالب أحد كبار رجال الوزارة سيادتك ، أمرنا جميعًا بمعاودة البث على الهواء مباشرة ، كيف يمكنني أن أخالفه ..؟ سيادتك تعرف أنه م...

قاطعه وزير الإعلام في حنق و حدة بالغة الذروة :

- مِن مَن تأخذ أوامرك ..؟ مِن مَن ..؟ قل ، تكلم ..؟

- منك سيادتك لكن ..

- اسمع أوقف البث حالاً و ..

- انتظر .. انتظر .

قالها وزير الإعلام و هو ينظر في ذهول لشاشة قناة الوطنية الفضائية ، التي كانت تعرض واحدًا من أغرب المشاهد علـــى الإطلاق ، و مشهدًا لا يشاهد في الأيام الطبيعية.

((٤))

مع أن اللواء زين من من تمرسوا في عملهم ، و خاضـــوا مخاطر كبرى ، و عمليات رهيبة و شديدة التعقيد و الصعوبة ، جعلت منه واحدًا من ألمع ضباط الشرطة و بفضل ذلك وصل لقمة سلطة جهازه ، إلا أن هذا لم يمنعه من الذهول الممـــزوج بصدمة الرعب ، و هو يتفحص ذلك الطرد ، الذي وصله قبل قليل عن طريق مندوب سلمه له في الأستدوديو ، فقال لميم في توتر :

– ما الذي يحويه هذا الطرد ..؟

– أفتحه .

قالها م في صرامة ، لكن زين قال :

– لن أفتحه قبل ما أعرف ، ربما .. ربما هو طرد مفخـــخ ينفجر في حال فتحه و ..

قال م في برود :

– اطمئن يا سيادة اللواء ، لم أضع به قنبلة تقتلك و تقتـــل الأبرياء حولك ، لست مثلك ، افتحه الآن .

وبيد ترتعش ، فتح زين الطرد ،و ما أن اخرج ما بداخلة ، حتى شهقت هناء في رعب ، و أصيبت بحالة هستيرية جعلتها تهتف و هي ترتجف و تتراجع بمقعدها :

- لا يمكن أن يحدث هذا ، لا يمكن ..!!!

سادت لحظات من الصمت المخيــف ، و زيـــن يتطلـــع للمسدس في رعب بالغ ، و طاقم الاستدوديو يتابع الموقف في انفعال بالغ كأنما يشاهدون فيلما سينمائيًا ، حتى قطع حبــل الصمت م قائلا :

- هل تشاهد مسدسًا للمرة الأولى يا ســيادة اللــواء ..؟ أتخيل أنني أراك مضطربًا..!!

في توتر قال زين :

- ماذا .. ماذا تريدني أن أفعل بذلك المسدس ..؟

بصرامة قال م :

- أنت تعرف جيدًا .

و سكت مليًا و تابع :

- حياتك أو حياة ابنك ..؟ أيهما تختار ..؟ هــل أنــت مستعد للتضحية بولدك شريف ، حتي تعيش أنت ، لو أنــك كذلك ، قل لي ، و اترك المسدس جانبًا ، و سيعود لك ولدك جثة هامدة .

صاح فيه زين :

- لا .. لا

- إذن وجب عليك التنفيذ .

- أي تنفيذ ..؟

تنهد م و قال في هدوء :

- حكم القصاص ، أن ترفع فوهة المسدس لرأسك و تطلق منه رصاصة ، من قتل يقتل و لو بعد حين .

هتف زين في ارتياع :

- ماذا تقول ..؟ هل أصبت بالجنون ..؟

- لا مزيد من المماطلة يا زين ، توجب عليك أن تنفذ الحكم و فورًا .

- دعنا نتفاوض ، أنا على استعداد تام لتقديم نفسي للمحاكمة و ..

قالها زين في لهجة أقرب للبكاء ، لكن م قاطعه في صرامة :

- الوقت يداهمنا بمهاتراتك .

ثم استطرد :

- أنت لا تترك لي أي خيار ، سوى الخيار الثاني .

و تعالى الصوت المميز لسحب مشط مسدس من طرف م الذي قال بصرامة :

- ها هي فوهة مسدسي مصوبة على رأس ابنك ، سأطلق النار عليه الآن ، انظر يا شريف والدك الجبان رفض أن ..

صاح فية زين في هستيريا و رعب و قد امتقع وجهه و كادت عينه تخرج من محجرهما :

- لا .. لا انتظر .. انتظر إلا شريف.. إلا شريف ...!!

و بدون تردد أطلق النار من مسدسة على رأسه ، لتجحظ عيناه جحوظًا مخيفًا ، ويشهق في قوة ، و يسقط رأسة على صدره ، و يسكن جسده بلا حراك ،و تندفع الدماء كينبوع صغير من رأسة ، و يتناثر بعضها على وجة هناء ، مع بعض من أجزاء مخة المختلط بأجزاء صغيرة مفتتة من عظام الجمجمة ، فصرخت في ارتياع و رعب ، ثم فقدت وعيها ، و يتحول الأستوديو بعدها لسوق شعبي ، و يتلاحم الصراخ مع البكاء ، و عيونًا ترمق ما حدث في ذهول و ارتياع بليغ .

((٥))

اقتحمت جحافل قوات الشرطة أحد أسطح البنايـــات في ميدان سفير بمصر الجديدة ، و الذي يـــشتبه في أن م أجـــرى اتصالاته الهاتفية منه ، و مشطت السطح تمامًا بحثًا عـــن م ، و لكنها لم تجده ، فقط وجدت جهاز تلفزيون ، كان لا يـــزال يذيع الحادث المأساوي ، و ورقة بجـــوار هـــاتف محمـــول ، موضوعة على طاولة صغيرة ، كتب فيه أربع كلمات و بخـــط كبير عريض أنيق :

- شكرًا لجهود رجال الشرطة ..!!!

((٦))

توقفت شاحنة عتيقة أمام مقر قناة الوطنية الفـــضائية الـــتي اكتظت عن آخرها برجال الشرطة و سياراتهم و رجال الإعلام و الصحافة و مراسلى الفضائيات ، و نزل من الشاحنة سائقها مرتديًا جلبابًا و عمامة بيضاء ، و تبعه اثنان آخران ، فتحا باب الشاحنة الخلفي ، و جذبا صندوقًا كبيرًا ، قاما بحمله في حذر شديد ، و ما كادوا يقتربون مـــن بوابـــة الـــدخول ، حـــتى استوقفهم ضابط و قال لهم في صرامة :

- من أنتم ..؟

اجابة السائق :

- جئنا لتسليم طرد للسيد اللواء زين أبو طالب و ..

- زين أبو طالب ..؟

قالها الضابط بعيون متسعة من أثر الدهشة ، ثم قال للسائق في توتر :

- ضع الصندوق هنا و أفتحه الآن ، قم بفتحه الآن .

- و لكنها مسئولية ، لابد أن يفتحه اللواء زين شخصيًا و ..

صرخ فيه الضابط :

- قلت افتحه الآن ..!!

و لم يجد الرجل بدًا من فتح الصندوق الكبير بآلـــة حـــادة أخرجها من جلبابه ، و عندما فتحه و زحزح غطاء الصندوق قليلاً ، شهق الجميع ، و امتقعت وجوههم جميعًا ، و تراجعوا للخلف كالمصعوقين .

فداخل الصندوق ، كان شريف يرقد مخدرًا ، موضوعا على أنفه قناع أوكسجين متصل بخرطوم رفيع ينتـــهي بأســـطوانة أوكسجين .

((٧))

جلس م يتابع في مترله تغطيات القنوات الفضائية المختلفـــة لحادث انتحار لواء الوزارة الكبير في نشوة و لـــذة ســـرت في أعماق قلبه وجسده ، و مع كل لقطة تذيع انفجار رأس زين، وسكون جسدة دفعة واحدة ، كان م يزيد من ضم صورته التي تجمعه مع ريهام لصدره أكثر ، و أكثر .

تحيا مصر

ستحدث أو ربما لن تحدث هذة القصة في المستقبل



((١))

كان الرئيس الأمريكي يجلس في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض بالعاصمة الأمريكية واشنطون ، في اجتماع هام ، مع وزير الدفاع ، و أحد كبار مستشاريه ، الذي قال في جدية :

- صدقني سيادة الرئيس لابد من ضرب القاهرة غدًا على أقصى تقدير .

ارتسمت علامات التفكير المتعمق على وجه الرئيس الأمريكي ، فتابع المستشار :

- الحل الوحيد هو ضرب القاهرة غدًا بالقنبلة النووية المحدودة ، صدقني سيدي ، القاهرة بدأت في التحرش بصديقتنا إسرائيل منذ فترة ، و أقمارنا الصناعية رصدت تحركات مريبة للجيش المصري على الحدود الفاصلة بين الدولتين ، كل ذلك يعد مؤشرًا خطيرًا على نية القاهرة الهجوم على إسرائيل في أي وقت ، بحسب تقرير خطير تم إعداده من قبل الاستخبارات لدينا ، كما تقول الاستخبارات أن المصريين لديهم سلاح خطير سيغير ميزان القوى في المنطقة كلها .

سالة الرئيس الأمريكي مستفسرًا :

- سلاح جديد ؟

اجابة المستشار في هدوء :

– نعم سيدي الرئيس ، سلاح خطير يقولون أنه من إنتـــاج مؤسسة العلوم و التكنولوجيا العسكرية المصرية ، ربما ســتقوم مصر باستخدامه ضد الأصدقاء في إسرائيل و من يعرف ، ربما ضدنا .. ضد أمريكا التي يحبها الله.

وسكت كبير مستشاري الرئيس الأمريكي ، فتحدث وزير الدفاع للمرة الأولى قائلاً :

– و أنا سيدي الرئيس اتفق تمامًا مع رأي السيد المستشار ، لابد من توجيه ضربة نووية للقاهرة ، فمصر خرجـــت مـــن نطاق سيطرتنا ، و لم تعد كالسابق ، بفضل تطبيـــق النظـــام الديمقراطي فيها منذ سنوات مكنتها من التقـــدم ، إذن فهـــي أصبحت ورقة محترقة و لا نحتاج إليها كالسابق .

– لكن مجلس الأمن،و الغضب الـــذي ســـيجتاح المجتمـــع الدولي و ...

كان الرئيس الأمريكي هو من قال هذا ، لكن وزير الدفاع لم يجعله يكمل حديثه ، وقال له في سخرية :

– سيدي الرئيس مجلس الأمن كما تعلم في جيبنـــا ، أمـــا المجتمع الدولي كلة مـــن زعمـــاء ، و منظمـــات إنـــسانية ،

واجتماعية و غيرها فهم سيثرثرون كعـادتهم ، و يـدينون ، ويستنكرون ، و يشجبون ثم ماذا ..؟ لا شئ .

بدا على الرئيس الأمريكي ، أنه في طريقه للموافقة ، فتبادل النظرات مع وزير الدفاع و كبير مستشاريه ، ثم قال في لهجـة حاسمة :

- أوافق على الضربة النووية .

و في القاهرة ، وفي أحد الحجرات في القـصر الرئاسـي ، جلس الرئيس المصري على مقعد أمام مكتبـه ،ومعـه وزيـر الدفاع جالسًا أمامة الذي قال في لهجة تحمل الهدوء :

- كل شئ مطمئن سيادة الرئيس ، فمنـذ الدقيقـة الأولي التي رصدت فيها أقمارنا الصناعية تحرك الحـشود العـسكرية الإسرائيلية المريب بالقرب من حدودنا ، و ما أن وصلتنا تقارير عن طريق عملائنا في تل أبيب نفسها يوضح نيتـهم الهجـوم الوشيك علينا، قمنا باتخاذ التدابير،والاحتياطات الوقائية الـتي تكفل الأمن و الأمان للمواطنين ضد أي هجمات أو ضربات إسرائيلية أو أمريكية خاصة بعد خلافنا معها منـذ سـنوات وتوتر العلاقة بيننا ، لقد رفعنا حالة التأهب لأقصى درجاتهـا وهو اللون البرتقالي ، كل شئ يسير بشكل مطمئن سيادتك .

ثم ناوله مجموعة من الملفات،طالعها الـرئيس المـصري في هدوء و روية ، ثم ابتسم و قال في ارتياح :

- حمدًا لله ، أنا الآن مطمئن للغاية ، سيفاجأ الأمريكيين ، و الإسرائيليين إذا حدث لا قدر الله و قرروا هؤلاء السفاحين الهجوم علينا .

و نهض الرئيس من مقعده ، و اتجه لإحدي نوافذ الحجرة ، و اخذ يتطلع للسماء الصافية ، و قال في لهجة صادقة ، صادرة من أعمق أعماق قلبه :

- يارب ... يارب .

((٢))

"" كارثة .. كارثة سيدي الرئيس ..!!! ""

صرخ بتلك الجملة مستشار الرئيس الأمريكي ، موجهًا حديثه للرئيس الأمريكي، الذي كان يلاعب جرو البيت الأبيض في الحديقة في سعادة،فانتفض الرجل،وتوقف عن ملاعبة جروه الذي زمجر في غضب ، و قال في قلق :

- ماذا .. ماذا هناك ؟

قال لة كبير مستشاريه في توتر :

- الصاروخ الذي يحمل القنبلة النووية المحدودة ، و الذي أطلق من قاعدتنا الفضائية بالمريخ منذ أربع ساعات ، لم يتجه للقاهرة ، و إنما هو في طريقه لإسرائيل .

شهق الرئيس الأمريكي في فزع ، و قال :

- و كيف حدث هذا ؟

هز كبير المستشارين رأسه في أسف جلي ، و قال :

- سلاح المصريين هو السبب ، اتضح أنه سلاح خطير بالفعل كما أخبرنا عملاؤنا في القاهرة ، فالسلاح أطلق موجات فائقة الذكاء ،والتعقيد بحيث أصابت مركز التحكم بالمريخ بالجنون، و أجبره و بشكل تلقائي علي تعديل الإحداثيات لوجهة أخرى غير القاهرة .

ثم صمت قليلاً ، و نظر للرئيس الأمريكي و قال :

- الصاروخ الحامل للرأس النووي يتجه لتل أبيب .

- لا .. لا يمكن أن يحدث هذا ..!!

- للأسف هذا ما حدث بالفعل ، طــاقم المهندســين في قاعدتنا العسكرية في المريخ يحاولون بقدر استطاعتهم التعامــل مع ما حدث و لكن دون جدوى ، فالأمور خرجــت عــن السيطرة تمامًا .

صرخ الرئيس الأمريكي في وجة كبير مستشاريه :

- حذر حكومة تل أبيب من ذلك الخطر و ..

قاطعه كبير المستشارين قائلاً في حسرة :

- كل الاتصالات مع إسرائيل مقطوعة تمامًا، من الواضــح أن جهاز المصريين ذو الموجات فائقة الذكاء يصيب أي أجهزة بالشلل التام، حاولنا الاتصال بحكومة إسرائيل لتحذيرهم لكن دون جدوى .

وقف الاثنان في حديقة البيت الأبيض في حالة من الذهول الممتزج بالصدمة في انتظار ما ستسفر عنة الأحــداث، بينمــا و في تل أبيب العاصمة الاسرائلية اجتمع قادة الجيش و الأفرع الرئيسية ، وقال وزير الدفاع في ثورة عارمة :

- الأوغاد الأمريكيون فعلوها و لا أعرف لماذا ، رصدت أجهزتنا اقتراب صاروخ برأس نووي من إسرائيل ، و قادم من أين .. من المريخ ، من قاعدة الأوغاد الأمريكيين ، حتى الآن لا أعرف لماذا يريدون ضربنا بالقنبلة النووية ، كل الاتصالات معهم مقطوعة تمامًا ، الأوغاد أصابوا أجهزة الاتصالات لدينا بالشلل التام ، نحمد الله أننا تداركنا ذلك الوقف العصيب و اتخذنا إجراءات و تدابير وقائية ، الملاجئ تحت الأرض مكتظة عن آخرها بالمواطنين ، لكن اقسم لكم أننا لن ندع الأمريكيين يفلتون بفعلتهم القذرة .

و ألقى نظرات حملت غضب و ثورة على قادة الجيش و استطرد قائلاً :

- قاعدتنا السرية بصحراء نيفادا سوف تطلق صاروخ حامل لرأس نووي على مدينة نيويورك تلقائيًا بمجرد عودة الاتصالات التي انقطعت ، ستتحول نيويورك لأطلال هذا هو الرد المناسب عليهم .

و انفض اجتماع القادة الاسرائليين ، ليذهبوا في سرعة لملاجئ عسكرية خاصة موجودة تحت الأرض ، و لم تلبث دقائق ، حتي وقع الانفجار ، فارتجت العاصمة تل أبيب في عنف ،وسحقت و أبيدت عن أخرها ، و بعد خمس عشرة دقيقة ، وقع انفجار الصاروخ النووي الآخر في نيويورك ،

و سحقت المدينة هي الأخرى تمامًا ، و لقى أكثر مـــن أربعـــة ملايين من البشر حتفهم ، و في القاهرة ، و في أحد حجرات قصر الرئاسة ، تابع الرئيس المصري مع عدد مـــن معاونيـــه ، شاشات التلفزيون ، و هي تنقل مباشرة حجم المأساة المفجعـــة في كل من تل أبيب ، و واشنطون ، فزفر الرئيس في ضيق ، و أغلق التلفزيون ، فالمشاهد كانت بشعة و قاسية ، لم يتحملها فقال في ضيق :

- ما ذنب كل هؤلاء البشر الذين لقوا حتفهم ؟

رد علية أحد معاونيه في هدوء :

- الذنب ذنب قادهم الذين توهمـــوا أن مـــصر ســـتقف مكتوفة الأيدي أمام من يمس حدودها و أمن مواطنيها ، الذنب ذنبهم سيدي الرئيس .

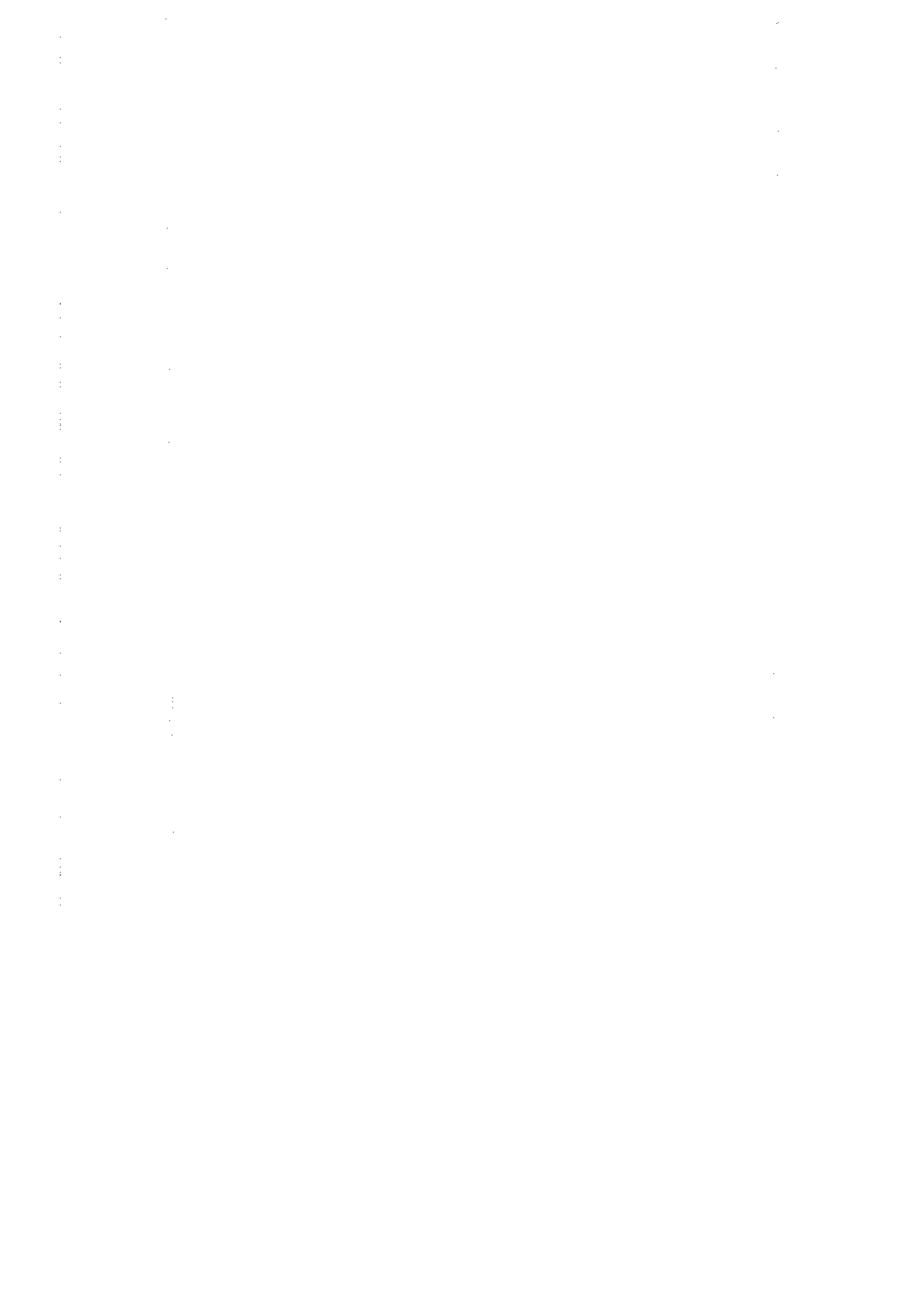
نهض الرئيس المصري من مقعده،وتبادل النظرات مع معاونيه في سعادة بالغة ، ثم قال :

- الحمد لله ، دافعنا عن بلدنا مصر ، من خطر داهم كـــاد أن يهددنا ، تهنئتي لكم ، و لمواطنينا في مصر و في العالم العربي و تحيا مصر .

ابتسم كل من في الحجرة دون استثناء ، و رددوا جمـــيعهم بصوت واحد و بنبرات قوية صادقة :

- تحيا مصر .. تحيا مصر .

مساحة خالية في البوم صور



رشف الحاج فودة ، رشفة من كوب الكاكاو الساخن ، ليزفر بعدها في ارتياح ، و هو يشعر بحرارة ملحوظة تسري في جسده كله ، لتعوض بذلك لفحات الهواء الباردة نوعًا ما ، التي يشعر بها في تلك الأجواء من شهر أكتوبر ، كان جالسًا على مقعد في بلكونة منزله ، يتصفح ألبوم صور العائلة في سعادة بالغة ، حتى يمر الوقت في سرعة ، و يأتي ابنه الوحيد أشرف و زوجته و ابنهما لمنزله ، قادمين من السعودية للإسكندرية في إجازة ، حيث يعمل أشرف ابنه هناك ، و فتح ألبوم الصور ، لتطالع عينه أول صورة ، و كانت تجمعه مع زوجته – رحمها الله – ، في حفل زفافهما قبل ثلاثين عامًا وسط الكثير من الأقارب ، و المعارف ، و الأصدقاء ، كانت زوجته مثال طيب للزوجة المطيعة ، الحنون ، و في خشوع تمتم بالفاتحة ترحمًا على روحها ، ثم ذهب للصفحة التالية بالألبوم ، فكانت له أيضًا مع زوجته ، التي كانت تحمل أشرف و هو لا يزال رضيع في الشهور الأولى له في الحياة ، و تذكر الحاج فودة عمق سعادته عندما بشرته زوجته أنها حامل ، و أنه سيصبح أب ، ثم تصفح الصفحة التي تليها ، فكانت لأشرف وهو يقف أمام باب الدخول في المدرسة الابتدائية ، و وجهه عابس ، حزين مثله مثل أي طفل يذهب للمرة الأولى للمدرسة، وتطلع الحاج فودة للصفحة التالية ، فكانت لأشرف

أيضًا ، و هو في حفل التخرج مع زملائـــة المتفـــوقين بكليـــة الهندسة بجامعة الإسكندرية ، ثم ذهب للصفحة قبل الأخيرة من الألبوم، فكانت كالعادة لأشرف كأغلب الـــصور، و كانـــت هذة المرة في حفل زفافه ، وكانت الليلة الأولى للحاج فودة في المترل وحيدًا بعد ما تزوج أشرف ، و فارقه إلى مترله الجديد ، لكن سرعان ما تأقلم على الوضع الجديد ،ووجد العزاء مـــن الوحدة في زيارة الأقارب، والجلوس على المقهى أمام كورنيش الإسكندرية يلعب الطاولة مع الأصدقاء ، و تصفح الحاج مختار الصفحة التالية ، و كانت الأخيرة ، لكنها كانت خاليـــة ..!! فالحاج فودة تركها كذلك ليلتقط المصور صورة تجمعـــه مـــع أشرف و زوجته و حفيده ليضعها في المساحة الخاليـــة مـــن الألبوم ، و في هدوء وضع الحاج فودة ألبـــوم الـــصور علـــى الطاولة التي أمامه ، و أخذ يشاهد من البلكونة التي تطل علـــى كورنيش الإسكندرية المارة ، و يستمتع بهواء البحر المـــنعش ، حتى أقبلت من بعيد سيارة أشرف الزرقاء المميزة التي يأتي بهـــا من السعودية في كل زيارة ، فصاح الحاج فودة باسم ابنـــه في سعادة بالغة ، لكن حدث و أن اندفعت شاحنة في سرعة مخيفة للاتجاة المعاكس مقتحمة الخط الفاصـــل بـــين الاتجاهـــان ، و اصطدمت الشاحنة بسيارة أشرف الصغيرة الزرقاء في عنف ، و أطاحت بها في قوة عنيفة لرصيف الكورنيش وسط صراخ ،

وذعر المارة ، ليشتعل خزان الوقود ، ثم انفجرت السيارة انفجارًا عنيفًا ، و لم تلبث ثوان حتى تصاعدت النيران و الأدخنة السوداء الكثيفة من السيارة المشتعلة ، و بعد شهر واحد من ذلك الحادث المريع ، لم تفارق الصدمة ذهن ووجدان الحاج فودة ، ظل من يوم الحادث في حال من الشرود، و الوجوم ، لكنه كان يجد نفسه دائمًا يتصفح ألبوم الصور ، و عندما يذهب للصفحة الأخيرة الخالية في الألبوم ، و التي كان يريد أن يخصصها لصورة تجمعه مع أشرف و حفيده، تفيض عينة بالدموع الساخنة ، و يعض شفتيه في مرارة ، و ألم ، و حسرة ، لأنه متيقن أنه لن يحقق تلك الأمنية أبدًا ، و ستظل المساحة خالية في الألبوم .. ألبوم الصور .

الشهيد

جلس كمال في ركن مظلم في الزنزانة الخاصة به ، كـــان يرتدي الزي البرتقالي الفاقع اللون ، بعد أن حكمت المحكمــة بإعدامة قبل أيام بتهمة قتل العجوز كريمة حسنين عمــدًا مــع سبق الإصرار ، و الترصد ، كريمة .. الحاجة كريمــة ، تنهــد كمال في ضيق واضح ، و هو يهتف بالاسم في أعماقه و مخيلته تمر فيها ذكريات و أحداث ستة أشهر كاملة بالتفصيل منـــذ تاريخ الجريمة و حتى الآن و كأنها حدثت بـــالأمس ، تـــذكر كيف عاد لمترله في ذلك اليوم الذي لن يمحى مـــن ذاكرتـــه ، و قبل صعوده للطابق الذي تقع فيه شقته ، توقف أمام شـــقة الحاجة كريمة ، و طرق الباب برفق حتى لا يزعجهـــا ، كـــان يأتي لها كل يوم في نفس التوقيت حتى يعطيها أدويـــة القلـــب بنفسه ، كانت كريمة مجرد عجوز مطلقة – لعدم الإنجاب – ، وحيدة ، بائسة ، مريضة بالقلب و أمراض الشيخوخة ، فكان كمال باعتباره الأعزب الوحيد في البناية السكنية بأكملـــها ، يحن ، و يشفق عليها بالزيارات متى سمح وقته ، لكن ليس فقط باعتباره أعزب هو ما يدفعه لزيارة الحاجة كريمـــة ، فكريمـــة نفسها تذكرة بالمرحومة أمه ، فكان كمال يـــرى فيهـــا روح المرحومة أمه ، لذلك فقد عاهد الله أن يعتني بكريمة كابن بار، صالح،و طرق الباب عدة مرات دون مجيب ، و لما طال الوقت و لم تفتح له العجوز الباب ، انقبض قلبه أن يكون مكروهًا قد

وقع لها ، فأخرج من جيبه المفتاح الذي كانت أعطته له كريمة ليفتح الشقة لأي طارئ -لا قدر الله- يحدث لها ، ففتح بـــاب الشقة ، و دخل في قلق بالغ و هو يهتف باسمها ، لكنه لم يتلق رد ، فهرول نحو حجرتها ، و دلف داخلها ، ليشهق في ذهول وذعر،فعلى الفراش ، كانت كريمـــة مـــضرجة في دماءهـــا ، وسكين كبير مغروس في صدرها،ومحتويات الحجرة مبعثـــرة في شكل واضح ، كانت جريمة سرقة بلا ريب ، فصرخ كمـــال في ذعر و اقترب من العجوز يهتف باسمها ثم أمسك السكين وأخرجه من صدرها لعلة يوقف آلامهـــا ، لكنـــها لم تحـــرك ساكنًا، فالعجوز فارقت الحياة ، فخرج من الحجـــرة مـــسرعًا يطلب النجدة ، لكن الجيران جاءوا على صراخه داخل الشقة ، كل ما يتذكره جيدًا أنهم أمسكوه في قسوة ، بعد مـــا قـــاموا بضربه ، و سبه لأنه قتل عجوز ضعيفة ، مـــسالمة ككريمـــة ، و أخذ يتذكر كمال كيف صرخ فيهم أنه بـــرئ .. بـــرئ .. برئ لم يقترف هذة الجريمة البشعة لكن صراخه ضاع في الهواء، وهم يأخذونه لقسم الشرطة ، و مرت أيـــام ، لتـــأتي ســـاعة الحسم، و ينطق القاضي بالحكم ، فحكم بالإعـــدام بحقـــه ، و عند تلك النقطة تحديدًا ، توقفت ذكريات كمال التي يجترها في حزن،وألم ،وكمد واضح ، ثم بكـــى ، بكـــى في حرقـــة

وحرارة ، بكاء من يشعر بالظلم البين ، و في تلك الأثناء هتف من أعماق قلبه :

- رحمتك يا الله .

قالها ، و لم يلبث قليلاً ، عندما جاءه خاطر في عقله استكان إليه في هذا الوقت الحرج الدقيق من حياته ، فهو مظلوم، و إن ظلم في دار الدنيا ، فعلى الأقل سيموت شهيد، وسيحتسبه الله من ضمن الشهداء الأبرار الذين يدخلون الجنة بدون حساب ، فابتسم كمال ، و قام و من دلو ممتلئ بالماء ، توضأ ، و افترش ورقتان من أحد الجرائد ، و أخذ يصلي لله .

و داخل حجرة الإعدام ، كانت ملامح كمال هادئة ، و كأنما لا يشعر أن صلتة بالدنيا سوف تنقطع بعد بضع دقائق، و عندما حان وقت الإعدام ، قال الملقن لكمال :

- قل يا بني اشهد ...

قاطعه كمال :

-أريد أن اسأل سؤالاً ؟

- اسأل يا بني .

تنهد كمال ، و قال في نبرة هادئة :

-هل من يتم إعدامه و هو برئ ، هل يصبح من الشهداء ؟

لثوان صمت الملقن ، فكان السؤال مفاجئ ، فبانت على ملامحه حيرة و ارتباك واضح ،و بدا كأنه يبحث عن جواب للسؤال من الكتاب أو السنة ، و لما اهتدى للجواب ، تنحنح ، و قال في تلعثم :

- الحقيقة لا .. ليست تلك شهادة ، و ليس صاحبها شهيدًا .

اتسعت عين كمال في ذهول و قال في ذعر :

- ليست شهادة ..!!

- نعم ليست شهادة و الله تعالى أعلى و أعلم .

حاول كمال أن يتمسك بأهداب الأمل فقال و قد غلبه اليأس :

- لكنني برئ و ...

قاطعة الضابط المكلف بالتنفيذ في خشونة :

- لقد أعطاك الجواب على سؤالك ، حان وقت التنفيذ ، لن أسمح لك بمزيد من الكلام .

قال كمال في استسلام :

- كنت أعتقد أن الله عز و جل سيكرمني بمنزلة الشهيد تعويضًا عن الظلم الذي تعرضت له و...

- انتهينا ألم أقل لك .

قالها الضابط في غلظة شديدة ، فتمتم كمال بالـــشهادة في خفوت و قد اغرورقت عينة بالدموع ، فوضـــع عـــشماوي الجورب الأسود على وجه كمال ، ثم لف أنـــشوطة الحبـــل الغليظ حول رقبته ، و قام بتكبيل يديه من الخلف في إحكام ، و ما أن صاح الضابط نفذ ، حتى أرجع عـــشماوي عـــصى الطبلية للخلف ، ليسقط جسد كمال في الفـــراغ ، و يتـــدلى جسدة معلقًا في الهواء ، و لم يسمع في حجرة الإعدام حينذاك إلا صوت تأرجح جسد كمال و الأنشوطة تلتف حول عنقه .

((٢))

سرت قشعريرة باردة في جسد كمال بـــشكل ملاحـــظ ، و شعر بأنة يصعد للأعلى في بحر من الظلام رغم عدم شـــعوره بجسده ، لكن حدة البرودة بـــدأت في الانخفـــاض بـــصورة تدريجية، كما بدأ الظلام في الانقشاع ، لتظهر من بعيد طاقـــة من النور يشع كشمس صغيرة ، و تحول الخوف و الذعر الذي لمسه كمال في البداية ، إلى طمأنينة ، و راحة امتزجت بالثقة، و لم يلبث كمال قليلاً حتى علت معالم وجهه ابتسامة كـــبيرة ، كانت تتسع أكثر و أكثر كلما واصل صعوده إلى ذلك النـــور المبهج المشع كشمس صغيرة في الأعلى .

العيد

بالرغم من أن الأستاذ عبد الحميد الموظف بـــإدارة المـــرور كان ينجز مهام عمله بكل همة، و نشاط ، و بلا أدنى ملل ، أو ضيق من ذلك الطابور الطويل الذي يمتد أمامه من طالبي تجديد رخص سياراتهم ، إلا أن ذلك لم يمنع من أن رأسه تزاحمت بها الكثير من الهموم انقبض لها قلبه ، و إن لم ترتسم على وجهــه ملامحها ، فاليوم هو العشرون من رمضان ، و لم يتبـــق علـــى انقضاء الشهر الكريم إلا عشرة أيام فحسب ، عليه في خـــلال تلك الأيام القليلة أن يدبر خمسمائة جنيه على أقل تقدير لشراء ملابس العيد لأطفاله ، كما أنة يحتاج لمائـــة جنيـــه أخـــرى لإعطائها عيدية لأبناء أشقائه ، لكن تدبير ذلك المبلـــغ لـــيس بالأمر اليسير ، فمرتبه ثلاثمائة جنيه في الشهر فقـــط ، و قـــد حاول أن يستدين من أحد أقربائه لكن حيائه لم يطاوعه ، على طلب أية نقود سواء من القريب أو البعيد ، لذلك فإن تلـــك الهموم كانت تحيل أيامه لجحيم منذ بداية الـــشهر الكـــريم ، و كانت كالمنغصات تؤرقه في نومه كل ما يمر يوم مـــن أيـــام رمضان ، و يقترب العيد المبارك ، فالمطلوب منه توفير ثلاثمائة جنيه في أقل من عشرة أيام ، ليضيفهم لمرتبه الشهري ــ ثلاثمائة جنيه ــ ، ليصبح المجموع ستمائة جنيه و هو الرقم الـــسحري بالنسبة له ، و الذي سيريحه ، و يحقق أمانيه في شراء ملابـــس جديدة لأطفاله و إعطاء العيدية لأبناء أشقائه ، و لكن من أين

تأتي الثلاثمائة جنيه ...؟ تنهد عبد الحميد في ضـــيق واضـــح و ذلك السؤال يتردد في جوانب عقله ، بلا إجابة شافية ، و لما انتهى من عمله ، و سار بالطريق عائدًا إلى منزله ، كان شارد اللب ، يفكر في كيفية تدبير المبلغ قبل انصرام الشهر ، حـــتى وصل لبيته ، و ألقى سلامًا فاترًا و هو يدخل لحجرته لتبـــديل ملابسه على زوجته ، التي قطبت حاجبيها في دهشة ، فعادتـــه أن يكون باسم الوجهه ، يسألها عن ما فعلتة اليوم هي و أطفاله ، فنهضت من مقعدها بصالة البيت ، و ذهبت إليه تـــستطلع الأمر ، و لما فتحت الحجرة وجدته لم يبدل ملابـــسه ، كـــان ينظر من نافذة الحجرة و هو واجـــم ، حـــتى أنـــه لم يـــشعر بوجودها فقالت له في قلق :

– عبد الحميد ..، ما بك ..؟

حاول عبد الحميد أن يرسم على شفتيه ابتسامة و قال :

– لا شئ .. لا شئ .

نظرت له زوجته في استنكار و قالت :

– لاشئ ...!! .. أنت لست على ما يرام ، أنا أعـــرف ، هل هناك خطب ما ..؟

دنا منها عبد الحميد ، و ربت عليها و قال :

– ضغوط العمل تعرفين .. سأبدل ملابسي حتى تعدي المائدة للإفطار .

– حالاً ...!!

قالتها زوجته و انصرفت على عجل للمطبخ ، لتعد الإفطار، فقد اقترب غروب الشمس ، و دوى مدفع الإفطار ، و لما جلس عبد الحميد على المنضدة ليأكل ، هاجمته همومه بشراسة مرة أخرى ، ففقد شهيته ، و لكنه أكل القليل حتى لا تحس زوجته بأي قلق نحوه ، و أثناء ذلك تطلع عبد الحميد في حب لوجوه أطفاله الثلاث ، كانوا يضحكون و هم يأكلون ، لا يشغل بالهم شئ ، فابتسم عبد الحميد و هو يرى الصغار ، كانوا كالملائكة ، فعزم على إسعادهم بإحضار ملابس العيد لهم بأي وسيلة ، حتى لا يكرر خطأ العام الماضي ، عندما حدثت له مثل هذه الظروف ، و لم يحضر لهم ملابس العيد ، فظهرت ملامح الحزن ، و الحسرة على وجوههم ، خاصة عندما كانوا يشاهدون الأطفال الآخرين يلبسون الملابس الجديدة في سعادة غامرة بها ، فكان ذلك يزيدهم حزن فوق حزنهم ، و كان يزيد عبد الحميد ألمًا ، و حزنًا أيضًا ، ولما انتهى من طعام الإفطار ، صلى المغرب ، و ذهب لحجرته لينام قليلاً كعادته ، و أثناء استرخائه على فراشه ، بدأ عقله في

التفكير في كيفية الحصول على الثلاثمائة جنيه ، بكل سرعة ، و بأي وسيلة ، حتى اهتدى عقله أخيرًا للحل ، الرشـــوة ...!! جاءه ذلك الخاطر فجأة و بدون مقدمات ، فبان على وجهـــه امتعاض ، و أحس بحقارة تفكيره و تمتم في خفوت :

- أستغفر الله العظيم .. أستغفر الله العظيم

لكن ذلك الخاطر الدنيئ لم يبارح عقله ، ظـــل في مكمنـــه يهاجمه ، فعض عبد الحميد شفتيه في قوة ، و هز رأسه بحركـــة عصبية ليطرد فكرة الرشوة من تفكيره ، إلا أن عقله رفـــض ، و بدأ في التفكير المتعمق في الموضوع و هو يستلقي على فراشه، فقال لنفسه إنها ليست رشوة ...؟ إنها مجرد إكرامية ، ســتأخذ إكرامية من مندوبي الشركات ، في سبيلٍ إنجاز إجراءات تجديد رخص سيارات شركاتهم في سرعة بدلاً من تعطيلها ، مجـــرد إكرامية و ليست رشوة ، من قال أن من يدفع مبلغ لموظـــف لسرعة إنهاء إجراء ما مرتشي ..؟ المرتشي هو من يأخذ نقـــود لإنهاء إجراء ما بشكل غير قانوني ، مخالف للوائح و القوانين ، بخلاف ذلك فلا إثم أو ذنب ، وعند تلك النقطة ، انبسط وجه عبد الحميد ، و انشرح صـــدره لهـــذا الإفتـــاء و التحليـــل ومال إليه عقله ، وحسم أمره تمامًا ، و عزم على تنفيذ مخططه غدًا بطلب إكرامية من مندوبي الـــشركات ، ليجمـــع المبلـــغ المطلوب ، و يعطيه لزوجته لشراء ملابس العيـــد ، و يعطـــي العيدية لأبناء أشقائه ، بيد أنه أزعجه خاطر لاح له فجأة ، فهو

في شهر رمضان الكريم ، و إتيان ذلك الفعل قد يبطل صومه ، غير أنه نفض تلك الفكرة من رأسه ، سيسامحه الله حتمًا ، وهو يقيناً يعرف ظروفه ، و يعرف أنه يفعل مدفوعًا بالحاجة وضيق ذات اليد ، و أخذ يتمتم بتلك الكلمات ليدعم قراره ، حتى أحس بارتخاء في جسده و نام .

و انقضى رمضان، وقدم العيد ، واشترت زوجة عبد الحميد الملابس للأطفال،و انتهت أيام العيد الثلاث ، و عاد عبد الحميد لعمله مرة أخرى ، و بينما هو مشغول بعمله تذكر أن بنهاية شهر رمضان ، أصبح مفلس ، فطلبات و لوازم الشهر الكريم كانت متعددة ، من لحوم،ودجاج ، وخلافه حتى مستلزمات عمل الكعك ، كل تلك الطلبات أفلسته تمامًا و لم يعد يحتكم على جنيه واحد ، و فجأة و كما جاءة فجأة خاطر الرشوة ، زين له الشيطان أن يواصل طلب الإكراميات طالما أنها تحقق له ما يبتغيه ، فانقبضت ملامح وجهه فجأة ، و لوح بيده و هتف قائلاً :

– لا .. لا .. لايمكن لقد عاهدت الله ألا أفعل ذلك مرة أخرى و....

صمت فجأة ، و شعر بالخجل ، فقد انتبة إلى نظرات الدهشة من زملائة في الحجرة عندما صاح بكلماته ، فأطرق قليلاً ، وعاد لإنجاز عمله مرة أخرى ، و إن كان هناك صراع

محتدم داخله حول ذلك الموضوع ، فساق نفس المبررات الـتي ساقها في المرة السابقة ، في أنها إكرامية و ليست رشوة ، ومرتبه حقير، متواضع لا يساعد على الحياة بصورة كريمة ، شريفة ، لائقة ، لذلك فليس أمامه إلا أن يسلك ذلك الطريق ، وفي اليوم التالي، و كما فعل قبل ذلك ، بدأ في تلقي الرشاوي أو الإكراميات كما يحلو له أن يطلق عليها من مندوبي الشركات،دفعوها له صاغرين ، لكي لا تتعطل مصالح شركاتهم الخاصة ، وكانت أفعال عبد الحميد مثار دهشة وعجب زملائه ، خاصة اثنان منهم في المكتب،فلم يعهدا ذلك في عبد الحميد ، فقد كان نظيف اليد طوال الأربع سنوات التي قضاها معهم كزميل في العمل ،والشئ الذي زادهم حيرة وعجب ، هو أنه أصبح يتصف بالشراهة ، و الجشع في تلقي الرشاوي ، إنهم مرتشين مثله ،ولكن لا يشعر بهما أحد ، فعبد الحميد أعمته الحصيلة النقدية التي كان يغادر بها العمل كل يوم، وذاع صيت عبد الحميد في إدارة المرور كلها بمرور الأيام، وعرف بأكثر رجال إدارة المرور قذارة من قبل مندوبي الشركات الخاصة ، الذين تحملوا دفع رشاوي لتخليص طلباتهم المبالغ فيها على مضض ، وحدث أن وقعت مشادة كلامية بين عبد الحميد و مندوب شركة خاصة ، رفض أن يدفع لعبد الحميد رشوة لتجديد رخصة أحد سيارات الشركة ، فأهمل

عبد الحميد طلبه ، فأغضب ذلك التصرف الرجل ، و أشعل صدره حنق وسخط تجاه عبد الحميد ، فما كان منه سوى أن حكي لمدير شركته ما حدث ، فكتبت شكوى من الشركة ، لرئيس إدارة المرور توصف ما حدث ، الذي قرأها ، و اهتم بها ، و لما تحري عن مدى صدق الشكوى من عدمه ، تأكد و تيقن من صحتها ، فبيت الرجل النية ، للإيقاع بعبد الحميد متلبسًا و بالاتفاق مع النيابة جاء مندوب الشركة و دخل مكتب عبد الحميد و اقترب منة قائلاً :

– أستاذ عبد الحميد ، صباح الخير جئت لأسأل عن طلبي..؟

نظر عبد الحميد له دون اهتمام ، و عاود عمله قائلاً :

– أنت تعرف ..!!!

– جئتك بما تريده .

– إذن مرحبًا بك أهلاً و سهلاً ..؟

قالها عبد الحميد بسعادة ، فقال له المندوب بخفوت و هو يضع أمامه مبلغ ما من المال :

– خذ خمسين جنيهًا نظير تجديد رخصة السيارة رقم (٠٠٠٠٠)

في سرعة و لهفة تناول عبد الحميد النقود من المنضدة ، وقال للمندوب :

– في الحال سأنتهي من طلبك لتذهب بة لرئيس المرور توقعه و ....

لم يكمل عبد الحميد كلماته ، فقد تراجع بحركة حادة وهو في مقعده عندما برز فجأة ضابط يقول له في صرامة :

– عبد الحميد منصور ، أنت مُلقى القبض عليك بتهمة تقاضي رشوة.

بهت عبد الحميد ، و نظر في ذهول للضابط ، و قال بتلعثم :

– لم آخذ منة شئ .. أعني هو مبلغ على سبيل أل.....

قاطعه الضابط بصرامة :

– وفر كلامك أمام النيابة

– نيابة ..!!!!

قالها عبد الحميد في ارتياع ، و فتح فمة محاولاً الكلام ، غير أن الضابط لم يمهله فرصة ، فأمسك اثنان من رجال الشرطة عبد الحميد في غلظة و خرجا به لخارج الحجرة ، وسط نظرات الدهشة من الجميع ، موظفين و مواطنين ، و لأن القضية كانت واضحة الملامح ، مكتملة الأركان بضبطه

متلبسًا، فقد أدين عبد الحميد ،وحكم عليه بالسجن ، لتنـــهار زوجته في قاعة المحاكمة ، تبكي في مرارة ، أما عبد الحميـــد ، فعلى النقيض بدا متماسك و ملامح وجهه تكتـــسي بـــبرود عجيب كأنه لا يصدق ما يحدث ، و قبل مرور الـــسنة الأولى من مدة سجنه ، جاء شهر رمضان ، و مرت أيامـــة ســـريعة كعادة الأيام المباركة ، و اقترب قدوم العيد ، لكن على الرغم من السجن و المحنة التي يمر بها عبد الحميد ، شغل بالـــه أمـــر واحد فقط ، هل في وسع زوجته شراء ملابس العيد للأطفـــال أم لا .



عندما أعود



في أحد الشوارع الجانبية ، و التي كان يضيئها عامود إنارة في وهن ، و بجوار إحدى السيارات ، أخرج مصطفى علبة سجائر ، فأخذ منها واحدة أعطاها لحسام صديقه ، و أخذ واحدة هو الآخر ، ثم أخرج من جيبه علبة كبريت فأشعل السيجارة التي في فمه ، و أشعل الأخرى التي في يد حسام ، وبتلذذ واضح نفث مصطفى دخان السيجارة ، لكن حسام ما كاد يسحب الدخان لصدره ،حتى سعل في قوة ، وفاضت عينه بالدمع ، فلما رأى مصطفى حال زميله ضحك و قال في سخرية:

— ما دمت غير قادر على التدخين ، لماذا تدخن ..؟

سعل حسام مرة أخرى ، و قال بصوت متقطع الأنفاس :

— إنها المرة الأولى أنت تعرف ..!!

ابتسم له مصطفى ، و نفث دخان سيجارته في الهواء و قال مازحًا :

— لا تقلق ، ستعتاد عليها بمرور الوقت ...!!

و عاود الاثنان التدخين مرة أخرى ، و حدث و هما يدخنان أن أحسا بخطوات متثاقلة تقترب منهما ، فلم يكترثا بذلك ، فقد أخذهما نشوة و مغامرة التدخين للمرة الأولى كأي مراهقين في هذا السن ، لكن و فجأة تراجع حسام

للخلف بحركة حادة ، حتى التصق بالحائط و هـــو يرتجـــف ، وسقطت السيجارة من فمه ، فأمامة وقـــف أبـــوه ، عاقـــدًا ساعديه أمام صدره ، مقطب الحـــاجبين ، يرمقـــه بنظـــرات صارمة، حادة ، أصابت أطراف حسام ببرودة، و أفقدته القدرة على النطق ، فقال لة أبوه في غضب :

– ما شاء الله ، تدخن سجائر ..!!!

ألقى مصطفى بسيجارته على الأرض ، ووقف يتـــابع مـــا يحدث بين حسام و أبيه ، الذي اتجه لحسام ابنه ، و جذبة مـــن قميصه و صاح في وجهه بحدة قائلاً :

– حسابك في المترل عندما أعود ... و الآن إلى المترل فورًا.

– انسحب حسام من أمام أبيه مطأطئ الرأس ، و هو يشعر بالخزي ، و تبعة صديقه مصطفى يسيران بخطوات متثاقلـــة حتى اختفيا من الشارع تمامًا ، ثم ركضا في سرعة ، و لما وصلا لشارع آخر ، استندا على أحد الحوائط يلهثان ، و صـــدرهما يعلو و يهبط ، حتى هدأت أنفاسهما قلـــيلاً ، فقـــال حـــسام لمصطفى و قال له في ارتباك :

– هل ارتحت هكذا؟ هل تعرف مـــاذا ســـيفعل بي أبي في المترل ؟

أشاح حسام بيده و قال بلامبالاة :

نظر له حسام بغضب ، و زفر بضيق ، وتركه ، و أسرع عائدًا لبيته حتى لا يعود أبوه قبله و لا يجده ، و تحدث مشكلة أخرى تضاف إلى الكارثة التي اقترفها و الله وحده يعلم عواقبها ـ و إن كانت ستنتهي بضرب مبرحا بالعصا ـ ، ووصل حسام للبيت ، و لم ينبس بحرف واحد مع أمه أو أشقائه ، فقط بدل ملابسه ، و جلس على أحد المقاعد بحجرته بعد أن أغلق بابها ، يقضم أظافر أصابعه في حركة عصبية ، و هو ينظر لساعة الحائط التي اقتربت من العاشرة ، أي أن أبيه سيصل بعد نصف ساعة ، ليترل به العقاب ، و في نفسه صب حسام السباب ، و اللعنات على مصطفى صديقه ، و اعتبره المسؤول الأوحد عن ما سيحدث له من أبيه ، فهو الذي وسوس له بأن يدخن معه السجائر على سبيل التجربة بعد خروجهما من درس الرياضيات ، لذلك فقد قال في حنق بالغ :

– الله يلعنك يا مصطفى .

و عاود قضم أظافر أصابعه مرة أخرى ، و كلمة أبيه تجول في مخيلته "" عندما أعود .. عندما أعود "" ، فانقبض قلبه عندما دويت كلمات أبيه في عقله ، و نزلت على قلبه كالحمل الثقيل ، و عاهد الله بينه و بين نفسه ، ألا يدخن السجائر مرة أخرى ، مهما تكن الظروف ، و أن يقطع صلته بمصطفى للأبد ، فقط طلب من الله أن يخرجه من هذه المشكلة بسلام ،

و بهدوء بدأ حسام في التفكير في الرد المناسب على أبيه ، و قام بتجهيز كل الإجابات المحتملة لأسئلة والده ، و عـــزم علـــى التأسف لوالده ، و استعطافه و معاهدته على أن تلك المـــرة الأولى ، و الأخيرة التي يقدم فيها على تدخين السجائر ، فيرق قلبه و يسامحه ، فيجتاز تلك المحنة بخير ، و لما جاء ذلك الخاطر في عقله ، مال إليه ، و انشرح صدره له ، و في تلك الأثنـــاء تصاعدت الطرقات على باب الشقة في عنـــف ، فتـــصاعدت معها ضربات قلب حسام ، و أحس بانقباض قلبه مرة أخرى ، فالطارق على الأرجح أبوه ، لم ينتظر أن يعود في موعده ، عاد مبكرًا نصف ساعة ليجد متسعًا من الوقت لضربه قبلما ينام ، لكن حسام شعر بجلبة تأتي من خارج حجرتـــه ، و أصـــواتًا تتعالى من بينها صوت أمه و أصواتًا أخرى غريبة ، فارتسمت معالم الدهشة على ملامحه ، و أحس بشيء غريـــب يـــدور في الخارج و لا يعرفه ، فنهض من مقعدة ، و سار في هدوء حتى فتح باب حجرته قليلاً في حذر بالغ ليستطلع مـــا يحـــدث ، وخارج الحجرة كان المشهد ، ثلاثة رجال يحملـــون والـــده ويتجهون به لحجرة نومه تتبعهم أمه باكية ، فظهرت الحـــيرة على وجهه ، و خرج من حجرته ، و اتجه لحجرة نوم والـــده في عيون مستفسرة ، و في الحجرة شاهد أبيه مـــستلقيًا علـــى فراشه ، منقبض الوجه ، و حوله الثلاثة رجال قال أحدهم في آسى و مرارة ظاهرة :

- أصيب بأزمة قلبية مفاجأة أثناء سيرة معنا ، فارق بعدها الحياة ، البقاء لله ، البقاء لله.

انفجرت أمه في البكاء بعد كلمات الرجـل ، وصـرخت باسم أبيه ،واتجهت نحوه و أخذت تقبل يده و هي تبكـي في حرارة ، و في ذهول ممزوج بصدمة نقل حسام بـصره بـين الثلاثة رجال الذين يتمتمون بخفوت بآيات من القرآن الكريم ، و أمه التي تبكي بجوار جثة أبيه ، و لثوان وقف حسام و العديد من المشاعر تنتابه بين الارتبـاك ، و الحسيرة الـتي امتزجـت بالصدمة، وقف لا يعرف ماذا يفعل ، حـتى فاضـت عينـه بالدموع هو الآخر ، و انفجر في البكاء بجوار امه و جثة أبيه .

الجزء التاسع



زفر الأديب الكبير فريد نصير في ارتياح ، ثم صب لنفسه كأسًا من خمر الفودكا ، وجرعه دفعة واحدة كإجراء و عادة تقليدية يفعلها عندما ينتهي من كتابة أي رواية ، كان يجلس على مقعده أمام مكتبه الفاخر في حجرته التي يكتب بها أغلب رواياته ، و نظر بسعادة إلى كومة من الأوراق أمامه ، فقد انتهى منذ ثوان من كتابة الجزء الثامن من سلسلة روايات _ بحور الدماء _ الشهيرة ، ذلك الجزء الذي أخذ منه شهرين كاملين حتى يخرج للنور ، وبذلك سيوفي بوعده لناشره ، وستطرح الرواية للقراء بحلول يوليو ، و نظر فريد في ساعته ، فوجد الوقت يقترب من الثالثة صباحًا ، فتثاءب بتراخ ، ونهض من مقعدة ، ليذهب لغرفة نومه ، فقد عكف لست ساعات متواصلة على الكتابة ، مما أصابه بالإرهاق ، و جعله بحاجة لأخذ قسطًا وفيرًا من النوم ، بعدما سلبته الكتابة كل طاقتة الذهنية و العصبية ، و ما كاد ينهض و يخطو بضع خطوات ، حتى شاهد أمام عينه ما يماثل بخار الماء يتشكل في الهواء ، و يتجسد أمامة على هيئة إنسان ، فتراجع بحركة حادة إلى الوراء ، و انكمش في مقعده ثانية في رعب ، يحدق في بخار الماء بعدما تشكل في صورة إنسان،و أخذ البخار تنمو له عظام ، فأوردة و شرايين ، فلحم و أعضاء داخلية ، فجلد بشري ، فعينان ، و أنف ، و فم ، و أذنان ، حتى تشكلت

الصورة النهائية لبخار الماء ، كانت لرجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، أسمر البشرة ، غليظ الشفتين ، كث الحاجبين و الشارب ، له سحنة قاسية و نظرة مخيفة تطل من عينه، جعلت فريد يرتجف في فزع ، غير أنه لملم مخزونه من الشجاعة و قال بتلعثم مغلف برعب :

– م .. م .. من أنت ...؟ .. و كيف أتيت من الفراغ..؟ حدجه الرجل بنظرة قاسية ، جمدت الدماء _ أو ما تبقى من دماء _ في عروق فريد ، و قال له في صرامة :

– من أنا ؟ ألا تعرفني ؟ هل ذاكرتك محدودة لهذه الدرجة..!!

– تفرس فريد في ملامحه ، عسى أن يكون له سابق معرفة بها.. إلا أن هول الموقف وأعصابه المتوترة،ونظرات الرجل القاسية المخيفة ، التي فككت أوصاله ، حالت دون ذلك ، فاقترب منه الرجل،وصوب نظراته لفريد ، الذي كان يتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه في تلك اللحظة،ولثوان ران على الحجرة صمت رهيب ، قطعه الرجل قائلاً :

– أنا سلطان .. سلطان أبو الذهب ...!!!

– س .. س .. سلطان أبو الذهب ...!!

أخذ فريد يتمتم بالاسم عدة مرات في دهشة ، فالاسم لواحد من شخصيات روايته _ بحور الدماء _ ، إنه سلطان أبو

الدهب ، الرجل المصاب باضطرابات نفسية و عـــصبية منـــذ طفولته ، و التي جعلت منه سفاحًا مخيفًا تقشعر لـــه الأبـــدان، متعطشًا لإراقة الدماء ، فرنا فريد بعينه إلى ســـلطان ، كانـــت نفس الملامح المخيفة التي تتصف بالقسوة و الغلظة و الشراسة ، و التي رسمها هو بنفسه لشخصية سلطان ، تلك الملامح المخيفة التي تتناسب مع سفاح مختل نفسيًا مثل سلطان ، و بعد فتـــرة صمت ، قال سلطان لفريد :

– أمر لا يصدق ..؟ .. أليس كذلك ...؟

ثم ضحك مع آخر حروف كلماته ، ضحكة قوية مخيفة ، جعلت معدل ضربات قلب فريد يهبط للنصف ، ثم تراجـــع سلطان للوراء ، وجلس على مقعد قريب من مقعـــد فريـــد ، وقال له :

– بالتأكيد عقلك لا يستوعب ذلك، إنني ســـلطان أبـــو الدهب بطل سلسلة روايات بحور الدماء ، قد يبـــدو الأمـــر بالبداية غريبًا و لا يصدق و لكنه أمر حقيقي ، أنـــا أعـــيش وبقية شخصيات روايتك حياة كما تعيـــشها أنـــت وســـائر مخلوقات الدنيا، الفارق بيننا وبينكم أنكم تعيشون حياة أرادها الله ربكم ، أما نحن و للأسف نعيش في حياة تريدها أنت ، من خلال تحكمك في حياتنا ومصائرنا،وقدرنا من خلال ما تسطره

من كلمات،لقد جئت إليك بالإنابة عن أفراد الرواية لأقول لك أننا فاض بنا الكيل من ما تكتبه .

اعتدل فريد في جلسته ، و بدا علـــى قـــسماته الاهتمـــام الملحوظ و قال لسلطان بدهشة :

– فاض بكم الكيل ..!!

قال سلطان في نبرات هادئة :

– نعم فاض الكيل،وأصبح هاجس الخوف ، و الرعـــب، والقلق ، والتوتر، يلازمنا دائمًا من ما تكتبه، من أحداث قتل ، و اغتصاب ، و مطاردات ، و تحقيقات ، و سجن ، و لمـــاذا كل ذلك ؟ لماذا .. لماذا لا نعيش حياة طبيعيـــة كحياتـــك أو كحياة بعض من شخصيات الروايات الأخرى ؟

أطرق فريد مليًا ، ثم قال في خفوت :

– و لكن الروايات حققت نجاحًا باهرًا ، القـــراء تفـــاعلوا معها ، و أحبوها ، أتعرف أرقام التوزيع القياسية و ....

انتصب سلطان واقفًا بغتة ، و هرول لمكتـــب فريـــد ، و ضرب سطح المكتب بقبضته ضربة قوية ، انتفض على أثرهـــا فريد في رعب ، و قال سلطان في صرامة مخيفة :

– و ما فائدة النجاح و هو يـــأتي علـــى مـــشاعر أفـــراد عدة..؟.. يأتي على خلفية حياتهم و أحاسيسهم ، و عواطفهم،

فريد.. افهمني جيدًا سأعطيك فرصة لتكتب شئ آخر غير مـــا تكتبه و الذي يسبب لنا آلامًا و منغصات لا تحصى ، سيأخذ الجزء القادم لك ــ الجزء التاسع ــ منحنى جديـــدًا و رائعًـــا ، سأتوقف عن القتل .. نعم كفاك ما جعلتني أسفك من دمـــاء ضحايا لا ذنب لهم إلا كونهم وقعوا في شباك عقـــل دمـــوي وحقير كعقلك،سأتوقف عن القتل و أتـــزوج مـــن هبـــة .. أتتذكرها ...؟ هبة التي جعلتني أقتلها في الجزء السابع بدون أن يهتز لي رمشًا،وهي الفتاة الوحيدة التي أحببتها بكل جوارحي ، ستجعل هبة تعود للحياة ، نعم .. هذة هي مفاجـــأة الجـــزء التاسع الذي ستكتبه ، ستجعلها تعود بوسيلة ما ،وتتفهم طبيعة حالي تمامًا، و تساعدني على العـــودة مـــن جديـــد للحيـــاة وننسى الماضي الأليم،و نتزوج، و نرحل بعيـــدًا ، إلى مـــنزل هادئ ، يطل على بحر ، و نعيش سويًا أنا و هي حـــتى آخـــر العمر ،وبتوقفي عن القتل ، نعيش كلنا كشخصيات في سلام، وأمان ، و هدوء،و سكينة و لتتوقف بحور الدماء التي تكتبها في إبداع يعجز الشيطان نفسه عن كتابته.

كان سلطان لا يزال يرمق فريد بنظرات مخيفة،لكنه زفر في غضب،و لوح لفريد بإصبعه في إشـــارة واضـــحة للتهديـــد ، واستطرد :

– فريد لا مزيد من القتل و الدماء بعد ، هذا هو اتفاقنا من الآن .. أفهمت ..؟ .. سنبدأ جميعًا صفحة جديدة من عـــالم

جميل،ورائع ومبهج ، لو قررت كتابة الجزء التاسع كسابق الأجزاء ، و نقضت ما اتفقنا علية أنفا ، سأقتلك .. أقسم لك سأقتلك..

ثم أخرج سكينًا من طيات ملابسه ، و لوح به في وجه فريد قائلاً في لهجة ذات مغزي :

- تعرف بالطبع طريقتي اللطيفة في القتل ..؟

ثم ابتسم ابتسامة ماكرة ، و برقت عينه ببريق مخيف ثم قال:

- لقد حان وقت عودتي لعالمي مرة أخرى .

تراجع سلطان للوراء قليلاً ، و بدأ جلده في السقوط تدريجيًا،ليبدأ في التحول لما يماثل بخار الماء مرة أخرى ، لكنه قال في صوت مخيف قبل ما يتلاشى :

لا مزيد من الدماء يا فريد ، لا مزيد من الدماء . -

وتلاشى جسد سلطان دفعة واحدة في الحجرة مع آخر كلمة له ، و لدقائق ، لم يحرك فريد ساكنًا ، بقي جالسًا في مقعده ، و حبات العرق تنفصد على جبينه ، و يحدق في المكان الذي كان جالسًا فيه سلطان ، و عقله لا يصدق ما حدث منذ عدة دقائق ، هل كان حقيقيًا أم مجرد تخيلاً صنعه عقله المنهك بفعل مواصلة الكتابة لست ساعات متواصلة بلا راحة ، فمال عقله للاحتمال الأخير،وركن إليه ، خاصة أنه كان يتخيل

و يتوهم أشياءًا كثيرة غير منطقية، قد تفيد في كتابة روايات جديدة بحكم كونه كاتب لأدب الرعب و الإثارة ، ففرك عينه في قوة ، و تناول من زجاجة صغيرة قرصًا مهدئًا نـــصحه بـــه طبيبه ، عندما يتعرض للضغط العـــصبي ، فألقـــاه في فمـــه ، وجرع وراءه كوبًا من الماء ، و لدقائق أغمض عينـــه ، حـــتى شعر براحة ، و صفاء في عقله ، فنهض من مقعـــده ، و اتجـــه لخارج حجرة مكتبه ، لينام في غرفته بجوار زوجتـــه ، و قبـــل مغادرته لحجرة المكتب ، عاود النظر لكافة أرجائها مرة أخرى في إمعان ، و لم يجد بدًا من الابتسام ، و قال في استهزاء :

– ليت الناشر يقدر ما أعانيه من ضغوط لتخرج أعمـــالي للقراء .

قال ذلك ، و أغلق باب الحجرة ، و ذهـــب لينـــام نومًـــا عميقًا.

وكما كان متوقعًا ، حقق الجزء الثامن ، نجاحًا ســـاحقًا ، مدويًا في سوق الأدب ،و بيع من الجزء الثـــامن الآلاف مـــن النسخ ، و هو ما أصاب فريد،و الناشر بسعادة و فرحة غامرة، جعلت – الناشر – يشرع في طباعة الطبعة الثانية من الرواية ، و بعد ما انتهى فريد من استمتاعه بنشوة النجاح ، شـــرع في كتابة الجزء التاسع ، و أخذ يمني نفسه بتحقيق ذلـــك الجـــزء لنجاح باهر يعادل نجاح الأجزاء السابقة و لا مانع لو زاد عنهم

بمراحل ، و يومًا وراء يوم بدأت معالم الرواية في الظهور ، و كسابقها من أجزاء ، و اصل سلطان أبو الذهب السفاح الخطير قتله للضحايا بلا رحمة أو شفقة ، وواصل طاقم المباحث الجهود المكثفة و المضنية للإيقاع به و تقديمه للعدالة لكن دون جدوى،وظهرت شخصيات أخرى في مجرى الأحداث التي تعقدت و تشابكت خيوطها،وهو ما كان يقصده فريد ، ليثير حماس ، و ترقب ، و متعة القراء و يلهب حواسهم ، وفي وقت ناهز الثلاثة شهور ، انتهى فريد من كتابة الجزء التاسع،و في حجرة مكتبه ، و مع أخر حرف كتبه ، و كما اعتاد ، زفر في ارتياح،وتململ على مقعده الوثير ،وصب لنفسة كأسًا من الفودكا ،وجرعه دفعة واحدة في تلذذ واضح لكن فجأة امتقع وجهه، و سقط الكأس من يده ، وهو و ينظر بارتياع أمامه، و يفرك عينه عدة مرات ليتأكد من أنه لا يتوهم أو يتخيل شيئًا، فأمامه ، ظهر بخار الماء في الهواء فجأة ، و كسابق ظهوره ، بدا في التشكل ليتجسد كجسم بشري ، ثم ظهرت عظام، ،فأوردة و شرايين ، و لحم بشري ، و أعضاء حتى آخر الصورة النهائية ، ليظهر سلطان .. سلطان أبو الذهب ، و لكن هذة المرة ، كانت ملامحة مخيفة أكثر ، و تشع مقت ، و كراهية ، و في خطوات ثقيلة تقدم سلطان متجهًا إلى فريد ، الذي ابتلع لعابه بصعوبة ، و غاص في مقعده أكثر ، حتى قال سلطان بصرامة و غضب شديدين :

- خالفت الاتفاق أيها الحقير .

هب فريد من مقعده ، و أسرع نحو باب الحجرة ليخـــرج منها ، إلا أنه تراجع بحركة حادة ، و التصق بالحائط في رعب، فقد وجد سلطان يقف أمام باب الحجرة مشبكًا ساعديه أمـــام صدره ، فقال فريد

بتلعثم :

- ما أنت إلا وهم .. مجرد وهم ..!!

ضحك سلطان ضحكة قوية،خيل لفريد أنها هزت أركـــان الحجرة ، و اقترب منه ، و رمقه بنظرة أوقفت نـــبض قلبـــه لثوان، ثم قال له بعدها بصرامته المخيفة المعهودة :

- لست وهمًا أبدًا كما تقول أيها الحقير ، لقد حذرتك في المرة السابقة أن تتوقف عن ما تكتبه مـــن أحـــداث عنيفـــة ، دموية، ولكنك رفضت،رفضت أن ترسم منحنى جديد يجعلنـــا نعيش في عالمنا في هدوء و سعادة ، في الحقيقة لم أكن أعـــرف انك حقير لهذه الدرجة ، قلت لنفسي لعله سيكتب ما أردتـــه واتفقنا علية سويًا لكنك لم تفعل،لذلك لا خيار أمامي ســـوي أن أقتلك يا فريد و نتخلص منك لننعم بالهدوء جميعًا .

شهق فريد في رعب مع كلماته الأخيرة ، و تراخ جسده ، و لم تعد قدمه قادرة على تحمله و هو يشاهد سلطان يخرج من سترته السوداء ، سكينًا كبيرًا ، برق نصله عنـــدما انعكـــست الإضاءة عليه ، فصرخ فريد في رعب ، فقد كان يعرف طريقة

سلطان في قتل ضحاياه بحكم كونه مبــدعها ، يبقــر بطــون ضحاياه و يخرج أحشائهم في عنف و قوة ، ثم يقتلع الكبد من مكانه و يأخذه معه ليأكله في نهم عجيب ، فحاول فريــد أن يصرخ ، ربما تسمعه زوجته ، و لكنه لم يــستطع ، انحبــست صرخته في حلقه ، و في شراسة ، و غضب ، ومقت و بــرود اكتسبه سلطان من تمرسه و اعتياده على قتل ضحاياه ، هــوى بسكينة على بطن فريد ، فشقها نصفين،فشهق علــى أثرهــا فريد، وجحظت عينه و هو ينظر إلى سلطان نظرة هي مــزيج من رعب ، و هلع ، و دهشة ، و تدفقت دماء فريد غزيــرة على أرض الغرفة ، فأمسك سلطان عنق فريد بيد واحدة حتى لا يسقط،وباليد الأخرى أخــذ يخــرج أحــشاء فريــد في وحشية،وشراسة فريدة من نوعها ، ثم انتزع الكبد في قــسوة، ووضعه في سترته ، ثم ترك عنقه ، و سقط فريد جثة هامدة ، فمسح سلطان نصل سكينة في برود عجيب،و ما أن انتهى من ذلك ، حتى أخذ الجزء التاسع من بحور الدماء من مكتب فريد، ووضعه داخل سترتة بجوار الكبد ، ثم بدأ في التحــول مــرة أخري لبخار الماء ، ليتلاشى جسده دفعة واحدة ، ليعود لعالمه الذي أتى منه ، أما فريد فكانت جثته هامدة بلا حراك ، وسط بركة حمراء من الدماء و بجواره تكومت أحشائه ، التي كانت لا تزال دافئة ، في مشهد مخيف كان عقل فريد ليعجــز عــن تصوره و كتابته بواحدة من رواياته الدموية .

مواطن من مصر



أكره هذه البلد و أمقتها مقتًا شديدًا ، أكرهها كراهية عمياء ، لم أر فيها يومًا واحدًا جميلاً لكي يكفر عنها خطاياها و آثامها التي ارتكبتها في حقي ، و تجرعت منها الكؤوس المرة، أعلنها صريحة و أنا أمشي في شارع طلعت حرب أنني على استعداد تام للعمل كجاسوس حقير للموساد الإسرائيلي لو أعطوني راتب قدره مائة دولار في الشهر ، ثمن بخس أليس كذلك ؟ لكنه أفضل في كل الأحوال من الثلاثمائة جنيه راتبي الشهري عند المعلم حمودة الفطاطري بوسط البلد،خريج كلية آداب قسم علم النفس يعمل في مطعم لبيع الفطائر ، ضاع حلمي في أن أصبح مدرسًا في يوم من الأيام بعد أربع سنوات من الدراسة و المصروفات ، ودعت سيجموند فرويد وبافلوف، وإدلر ،واستقبلت السمن،والعسل ، و الدقيق و بقية مستلزمات صناعة الفطائر،رضيت بالهم و الهم لم يرضَ بي ، حمودة الوغد طردني اليوم ، طردني كطرد الجزار لقط جائع ضال يقترب من لحمه المعروض ، أمي مرضت بالتهاب رئوي حاد ، فجلست بجوارها يومين لأرعاها و أعتني بها ، لأعود للمطعم ، فيكشر حمودة عن أنيابه ، و يعطيني بقية حسابي ، و يقول لي في غطرسة وصلف ، أرني عرض أكتافك ، أكرهك و أمقتك يا حمودة يا حقير ، تمامًا كما أكره البلد وأمقتها أشد المقت ، كل شئ فيها يدعو للامتعاض،و الاشمئزاز، و التأفف ،

و الغضب ، من زحام خانق ، و سيارات مكدسة في الطـــرق تكديسًا كبيرًا ذات عادم سام ، حافلات نقل عام تكتظ عـــن آخرها بالركاب و فيهم الساخطون ، و النشالون ، و الباعـــة الجائلون ، و المهووسون و المتحرشون جنسيًا و قلة منهم تجلس في تأدب و هدوء ، قمامة و مخلفات في الـــشوارع ، انحـــلال خلقي في الحدائق العامة و الميادين ، شباب عاطل بـــالملايين ، وزراء أرى وجوههم منذ كنت صبيًا يافعًا ، ماتـــت جـــدتي و مازلت أراهم حتى اليوم..!!، موظفي حكومـــة وجـــوههم مكفهرة ، غاضبة ، ناقمة على الدوام، أمامهم تلال من الملفات المهملة ، التي تهتكت أوراقها و اصفرت بفعل الزمن ، نهـــب للمال العام للدولة،نفاق و تملق رخيص ، غياب للديمقراطيـــة، رجال أعمال فاسدون، أقسام شرطة تستهين بالضعيف و تقدر و تحترم القوي العظيم ، مستشفيات بلا خدمات ، أطباء غـــير متواجدين،وممرضات إن لم تدفعلهن المعلوم لـــن تـــسلم مـــن غضبهن،ولتذهب أو ليذهب مريضك لقبره في سلام ، وساطة بداية من دخول كلية الشرطة حتى الحصول علـــى رغيـــف العيش الردئ ، محسوبية ، و الكثير و الكـــثير ، لا تـــسعفني ذاكرتي على سرده ، لهذه الأسباب أكره البلـــد و ألعنـــها في اليوم أكثر من مرة .

كان وصل حينذاك لميدان التحرير ، فشاهد جموع حاشدة من المواطنين تتابع باهتمام أحد مباريات كرة القدم في التلفزيون أمام أحد المقاهي ، فهز رأسه في استهزاء ، و سخر داخل نفسه منهم و هم يتابعون المباراة في ترقب و شغف بالغ، ثم حدث و أن انتهت المباراة ، لتتعالى صيحات الفرح ، والابتهاج ، من المواطنين المتفرجين في سعادة غامرة ، ثم اتجهت له الحشود كبيرة العدد ، لتنضم لها حشود أخرى جاءت للميدان عقب انتهاء المباراة يرفعون أعلام مصر ، ليجد نفسه فجأة في قلب الجماهير ، التي ترفع الأعلام و تلوح بها، و تغني الأغنيات الوطنية في حماس و ابتهاج منقطع النظير ، ووجوههم لا تخلو ملامحها من السعادة ، و بالرغم من كراهيته الشديدة للزحام ، إلا أنه لم يغضب أو يزمجر في سخط هذه المرة ، وهو مغروسًا وسط الجموع الحاشدة السعيدة ، فقط تسمرت قدماه يتابع و يرمق ما يحدث في هدوء ،حتى سمع من ينادية باسمه ، فالتفت لمصدر الصوت ، ليجد المعلم حمودة ، صاحب مطعم الفطائر ، باسم مشرق الوجه ، السعادة تكاد تقفز من وجهه قفزًا ، وجد المعلم حمودة يأتي ليقف بجانبه ، وللغرابة يحضنه ويعطيه قبلة علي وجنتيه ، و يقول له في فرح :

– صعدنا لكاس العالم .. صعدنا لكاس العالم ..!!

و لوح بالعلم المصري عاليًا في حب و سعادة ، ثم استطرد :

- من الغد تعود للعمل ، اتفقنا ؟ سلامي للحاجة ..!!

و قام باعطائة العلم المصري ، فتناول العلم منه في دهشة ، ولوقت ظل مكانه ، وسط الجماهير التي كانت تتغنى بأغنية وطنية شهيرة حائرًا ، مندهشًا ، لا يعرف ماذا يفعل ، مشاعر عديدة مختلفة و متناقضة تلاطمت كموج البحر داخلة ، ظل كذلك حتي ترقرقت عينه بالدموع ، و رفع العلم المصري عاليًا، وأخذ يلوح به ، و ردد معهم في سعادة ، و صدق ، وحرارة،وحماس،وحب نابع من أعمق أعماق قلبه كلها بلا أي زيف :

- مصر .. مصر تعيشي يا مصر .

الفلسطيني



السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية

تحية طيبة لسيادتكم و بعد ،،،

اسمي سامر رمزي عبد ربه ، فلسطيني مقيم في مخيم جباليا للاجئين الفلسطينيين ، اكتب لكم بعد ما هدأت الأوضاع بشكل نسبي في قطاع غزة بعد الاجتياح الإسرائيلي الأخير ، اكتب لكم و أنا على بعد خطوات قليلة من الموت ، فبعد بضع دقائق من الآن سوف أقوم بعمل استشهادي ، أتعشم من الله عز و جل أن يكلله بالنجاح و التوفيق و أن يحتسبني من الشهداء ، و أن أدخل جنة الخلد أنا و رفاقي الذين سبقوني في الشهادة لنصرة فلسطين المحتلة ، أكتب لك بعد ما فقدت كل شئ ، الأم و الزوجة ، و أشقائي التسعة ، و المترل و كل شئ في الحرب ، كل شئ ، هل عندكم المقدرة على تخيل كيف يمكن لأحد يذهب لصلاة الفجر في يوم ، و يعود ليفاجأ بأن مترله المكون من ثلاثة طوابق قد الهار على سكانه و أمسى أنقاضًا ؟ هذا ما حدث لي في ذلك الفجر الذي لن أنساة عندما خرجت من المترل لصلاة الفجر ، ثم أغارت الطائرات الإسرائيلية على المنطقه السكنية ، و أطلقت الصواريخ على مترلنا ، لينهار بعدها في ثانية واحدة ، لأفقد أمي و زوجتي وأطفالي الأربع،ومعهم أيضًا أشقائي التسعة مع زوجاقم

وأطفالهم الصغار، في ثانية واحدة محت طائرات الأوغاد الإسرائيليين ثلاثين عامًا من الذكريات ، و المشاعر الجميلة ، السعيدة ، التي عشتها في مترل العائلة ، هل عندكم المقدرة على تخيل كيف هو شعوري الآن ؟ هل تعرفون ما هو شعور الإنسان و هو جالس في مترله و طائرة تحلق على ارتفاع منخفض من الأرض ، و أزيزها الخارق يهشم زجاج النوافذ ، و يصم الآذان ، فتدعو الله و أنت ترتجف آلا تقوم الطائرة بتوجية صاروخ لمترلك ؟ هل تعرفون ما هو شعور الإنسان و هو يجد كل يوم صديق أو قريب أو حبيب يسقط برصاص الأوغاد الإسرائيليين ؟ هل تعرفون ما هو الشعور بالعجز ، و الذل ، و القهر ، و الإهانة الذي نتعرض لة كل يوم في بلادنا المحتلة من المحتلين الأوغاد ؟ ما هو شعوركم بعد كل هذا؟ ماذا ستفعلون لو كنتم مكاني ؟ هل ستطيب لكم الحياة ؟ هل سيكون في قلوبكم مقدار ذرة واحدة للاستمتاع بالحياة ؟ أكاد أكون متيقن أن جوابكم سيكون لا ، أتعرفون .. إننا هنا في فلسطين لم نعد نخاف شيئًا لسبب بسيط ، و هو أننا لا نملك أي شئ لكي نخسره ، لن أستمر في كتابة تلك السطور المحملة بالآلام و الذكريات الحزينة ، التي تثير عاصفة شجوني و مرارتي ، أخيرًا و قبل أن أختم رسالتي أريد من فخامتكم إرسال رسالة لكل زعماء عالمنا العربي الكبير ، مفادها أن يتقوا

الله في الشعب ، و أن يتحدوا مع بعضهم البعض ، و ينبـــذوا الخلافات بينهم .

أشكركم لسعة صدركم و قراءة رســـالتي ، و ادعـــوا لي بالرحمة و المغفرة من عند الله ، و أن يحتسبني من الـــشهداء ، و عاشت فلسطين حرة ، مستقلة و لا إلة إلا الله محمد رسول الله.

طوي سامر الرسالة ، و وضعها في مظروف ، و كتب عليه و بخط كبير جامعة الدول العربية – القاهرة – مصر ، ثم أخذ المظروف في يده ، و دخل لأحد الحجرات في مترل من منازل حركات المقاومة السرية ، فارتدى أحد السترات في حـــرص شديد ، ثم خرج من مترله بخطوات هادئة لا تخلو من الثقة و لا تتناسب مطلقًا مع ما هو مقدم عليه بعد لحظـــات ، ثم ألقـــى المظروف في أول صندوق بريد صادفه ، ثم أخـــذ في الـــسير لواحد من الحواجز الإسرائيلية ، أخذ في السير و عشرات مـــن الأفكار ، و الذكريات تتتابع و تمر في ذهنة كشريط سينمائي ، ذكرياتة منذ لحظة مولده و حتى الآن ، ذكرياته مع زوجتـــه ، و أمه ، و أشقائه ، و عائلته ، ثم توقف كل ذلك بغتة ، عندما وصل للحاجز الإسرائيلي المنشود ، فتمهل في خطواته قلـــيلاً، و نطق بالشهادة في خفوت ، و بعدها تمتم بـــبعض الأدعيـــة

الدينية ، حتى وقف أمام الحاجز الإسرائيلي ، و عنده خمسة ضباط إسرائيليين واقفون في لا مبالاة ، ثم بدا واحد منهم في سبة بحقارة حتى يسرع و يبرز بطاقة الهوية ليتطلع عليها ، فابتسم سامر في سخرية و استهزاء ، ثم ضغط على جانب سترته في قوة ، و ما كاد أن يفعل ، حتى دوي الانفجار .

مصرع رجل القانون



وقف في وسط الميدان ، يرتدي بدلة تشبه لحد كـبير زي رجال المرور ، كان طويل القامة ، أبـيض اللـون ذو بـشرة تشوبها الحمرة ، أشعث الشعر ، لحيته غير مهذبة و لا يعـرف المقص طريقًا لها هي أو شعرة ، اختلف النـاس في تـسميته ، منهم من يطلق عليه اسم جاعورة نسبة لـصياحه المـستمر ، ومنهم من يطلق عليه المايسترو ، نسبة لحركات يده المـستمرة وكأنه يقود فرقة موسيقية في دار الأوبرا في توجيه السيارات ، و منهم من يطلق عليه رجل القانون،و هذا اللقب بالتحديـد يحبه و يثير في نفسه مشاعر الغبطة و الابتهاج، عندما يناديـه أحدهم برجل القانون ، و لكن مهما اختلـف الكـثيرون في تسميته ، فهذا لا يغير من الأمر شيئًا ، فالرجل يقف في وسط الميدان ينظم حركة سير المرور كعادته منذ عشرين عامًا أو مـا يزيد،حتى بات من معالم الميدان، و أحد رموزه ، كـان مـن أولئك المخبولين الذين تعج بهم شوارع القاهرة و طرقاتها ، فلا أهل لهم ولا مأوى،وما أن شاهد سيارة تقف علـى جانـب طريق غير مخصص فيه انتظار السيارات ، حتى اتجـه مهـرولاً لسائقها ، و قال لها في صرامة :

– أنت . أنت أيها السيد ..!!

– أنا ؟ ماذا تريد ؟

نظر له المخبول أو رجل القانون كما يحب ينادى من الناس، و قال :

– ألا تعرف أن انتظارك هنا يمثل مخالفة ؟ ألا ترى اللافتة المكتوب عليها ممنوع الانتظار ؟

ابتسم سائق السيارة في استهزاء ، و قال ساخرًا :

– ابتعد عني يا معتوة ..!!

ثم أخذ في قراءة صحيفة كانت بجوارة مقعده في انتظار زوجته التي تتسوق ، فما كان من رجل القانون سوى أن أخرج من بدلته البالية : السوداء المتسخة بفعل عشرون عامًا دون أن تغسل مجموعة أوراق ،وقلم دون به رقم لوحة السيارة، و قال في نبرة حادة :

– مخالفة .

ثم انصرف،ليأخذ مكانه في وسط الميدان ، و عاد لتنظيم حركة المرور من جديد ، بلا أدنى اكتراث لشرطي المرور ريفي الملامح النحيل ، الذي يقف على بعد خطوات منه ، في زيه الفضفاض،وكان شرطي المرور لا يكترث به كذلك ، فقد اعتاد أن يراه كل يوم ، فكان يتركه و شأنه – من منطلق أنه مجرد مجنون لا حول ولا قوة له –، و مضت دقائق ، حتى اتجه رجل القانون لميكروباص ، توقف– لإشارة يد عجوز–في أحد جوانب الميدان في مخالفة صريحة للافتة التي تمنع الانتظار،وكان الميكروباص لا يتسع إلا لتسعة ركاب،لكن بداخلة جلس أربعة

عشر راكبًا متلاحمين في تكتل بشري ، و على الباب تـــشبث ثلاثة آخرين بأيديهم على سطح الميكروباص وجوههم لداخل الميكروباص ، و ظهورهم و مؤخراتهم في الخـــارج ، و قـــال للسائق في حدة :

– أنت ؟ ألا تعرف أن وقوف الراكبين خارج الميكروباص و تشبثهم بالباب يعرضهم لمخاطر جسيمة ؟ ثم أن الميكروباص السعة الفعلية له تسعة أفراد و ...

لم يجعل سائق الميكروباص رجل القانون يكمل حديثة ، إذ باغته بأن بصق على وجهه و هو ينظر له في احتقار و ازدراء ، و قال له و هو ينطلق بالميكروباص :

– ابعث بسلامي للمخاطر الجسيمة ..!!

و تعالت ضحكات سائق الميكروباص مع ضحكات بعض من الركاب ، لكن رجل القانون فيما يبدو لم يهـــتم لبـــصقة الرجل ، فمسحها بكم بدلته ، ثم أخرج مجموعة أوراقه و قلمه و دون رقم لوحات الميكروباص و قال :

– مخالفة .

وعاد مرة أخرى لمكانه بوسط الميدان ، يشير بيـــده يمينًـــا ويسارًا كشرطي مرور متمرس،حتى أبصر شاحنة عملاقة تحمل أخشاب ، اتجة سائقها لشرطي المرور و دس له في يده ورقـــة مالية من فئة العشرين جنيهًا و قال له في لهجة ذات مغزى :

- نهارنا ابيض إن شاء الله ..!!

و لما سمع رجل القانون ذلك ، اتجه في سرعة لسائق الشاحنة قبلما ينطلق بشاحنته ، و قال له في غضب :

- أتعرف يا سيد أن مرور الشاحنات في هذا الميدان غير مسموح به ؟ هل تعرف أم لا ؟ ثم أنت تعطي لشرطي المرور رشوة لكي يسمح لك بالمرور دون مخالفة .

- و ما شأنك أنت ؟

اتسعت عينا رجل القانون،وانتفخت أوداجه،وقال في زهو: ما شأني ؟ أنا القانون ، أنا رجل القانون ، القانون الذي لا تعرفه أنت و أمثالك من الفوضويين

ضحك سائق الشاحنة ، و قال :

- قانون ؟ أي قانون يا مجنون ؟

قالها ثم انطلق بشاحنته في سرعة ، و كعادته ، أخرج رجل القانون أوراقه و قلمه ، و دون أرقام لوحة الشاحنة و قال :

- مخالفة .

و عاد لمكانه مرة أخرى ، ينظم حركة السير ، و انتصف النهار،وهو لا يزال يشير بيده يمينًا تارةً ، و يسارًا تارةً أخرى ، ينظم المرور ويحرر المخالفات للمخالفين،ثم فجأة جاءت شاحنة أمن مركزي تتبعها سيارة شرطة زرقاء ،وتوقفا -- الشاحنة و السيارة - في أحد جوانب الميدان ، ونزل من الشاحنة ستة

عشر مجندًا ،تراصوا بجوار بعضهم البعض في صف طويل مـــن بداية الميدان و حتى نهايته ، و نزل من السيارة الزرقــاء لــواء شرطة و معه عقيدين، أخذوا في تنظيم مـــرور الـــسيارات في سرعة لا تخلو من عصبية، فهرول شرطي المرور البائس ناحيتهم يساعدهم بعد أن جذب رجل القانون من قفاه ، و أبعده عـــن قلب الميدان،كان من الواضح أن موكب لمسؤول ما سوف يمر من الميدان و يخترقه ، و بمرور الدقائق شهدت حركة المـــرور حركة انسيابية غير اعتيادية ، و تحول الميـــدان مـــن معتـــرك و ساحة قتال إلى ميدان منظم ، بديع المنظر،و كـــان رجـــل القانون تغمره سعادة بالغة حينذاك و هو يرى حركة المـــرور تجري في سهولة و يسر ، قلما شاهدها ، فصفق بيده و قال :

- هكذا ، هكذا لابد أن تكون ما عليه الأمور ..!!

و ما هي إلا دقائق قلائل،حتى أشار لواء الشرطة للسيارات القادمة للميدان أن تقف ، فتوقفت السيارات ،وطال توقفها ، فأغلق السائقون محركات سياراتهم ،و تكدســت الـــسيارات بمختلف أشكالها، و ألوانها ،و أحجامها،تكدسًا كبيرًا في أربعة صفوف طويلة، وكان الجو شديد الحرارة في تلك الأيام مـــن صيف أغسطس، فتصبب العرق الغزير من سائقي الـــسيارات المتوقفة ، و بدأ الجميع يزمجر في ضيق ، و ســـخط ، و تـــبرم واضح ، و في هذه الأثناء كان رجل القانون في حالة شـــديدة من الغليان ، كان مشهد السيارات المتكدســـة وراء بعـــضها البعض يثيره ، و يصيبه بالغضب و الاستياء ، كان لا يـــستطيع

الاقتراب من لواء الشرطة و تحرير مخالفة له ، و تعنيفه و توبيخه،كان رجل القانون يرهب رجال الشرطة جميعًا ، و يخافهم،مرة واحدة فقط تجرأ ، و تجاسر بعد مرور أحد المواكب،وتحدث مع لواء شرطة حول ضرورة أن تكون حركة المرور عادية و ليس هناك داع لتعطيل المواطنين عن مصالحهم ، لمجرد مرور موكب لمسئول ما ، فلم يلقَ من لواء الشرطة إلا ركلاً و صفعًا ، ثم بعد ذلك قضى يومين في الحبس ، ثم خرج منه ، و عزم عندها ألا يحتك برجال الشرطة أبدًا ، لذلك فقد لزم الصمت ، و لكن في داخله كان هناك بركان ثائر ، يقذف بالحمم ، و أخيرًا لاحت من بعيد بشائر الموكب ، فعزم رجل القانون على إيقاف سيارة المسؤول مهما كان الثمن ، و تحرير مخالفة له و ليكن ما يكن، فانتظر ، و انتظر و تريث حتى تمادت سيارة المسؤول و كانت تتوسط سيارتين لتأمينها ، ثم انطلق في سرعة و خفة كالسهم في اتجاه سيارة المسؤول ، ووقف أمامها في جرأة و جنون ، و كادت السيارة أن تصدمه وتطيح به ، لولا لطف الله،وبراعة السائق ، الذي ضغط على المكابح في الثواني الأخيرة ،لتتوقف السيارة بغتة ، و تحتك إطاراتها بالأسفلت في قوة ، و يشتعل و يتكهرب الميدان بأكمله ، و تابع جميع من في الميدان رجل القانون و هو يقف أمام سيارة المسؤول ، ثم يقترب من باب السيارة في سرعة ، و يدنو من النافذة ، و يقف في شموخ ، و اعتدال ، ثم و كعادته

التي تلازمه تجاه المخالفين ، أخرج أوراقه و قلمه ، ليدون أرقام لوحة سيارة المسؤول،و قال بصوته الصارم ، الحازم :

- أنت أيها السيد مخالفة لتعطيلك المرور و ..

بتر رجل القانون الكلمات بغتة ، عندما اخترقت طلقات الرصاص جسدة ، فشهق،وجحظت عيناه و خر صريعًا في الحال،وسقطت معه وريقاته و قلمه ، و لثوان ران على الميدان الذي يشهد له بالضجيج و الضوضاء الصمت التام ، فالجميع أخذ يراقب المشهد و قد احتبست أنفاسهم ، و قطع الصمت الحارس الشخصي للمسؤول ، عندما اتجة لسيارة المسئول الكبير ، و هو يتفحص خزانة مدفعه الآلي الذي كان الدخان لا يزال يتصاعد من فوهته ، و قال للمسؤول في هدوء: كل شئ بخير يا فندم ، تم القضاء على الرجل المجنون الذي كان يحاول اغتيالك ..!!

هز المسئول رأسه متفهمًا ، ثم أشار له بيده ، فركب الحارس السيارة التي في الخلف ، ثم انطلق الموكب مرة أخرى في سرعة ، و سحبت جثة رجل القانون و الدماء تسيل منها جانبًا من قبل أحد المجندين تحت بصر اللواء و العقيدين ، و تم تغطيتها ببعض الصحف ، و تركت في ركن قذر اجتمعت فيه بعض المخلفات ، تحت حراسة شرطي المرور،و بإشارة من يد اللواء ، أعيد فتح الميدان من جديد ، فتنفس السائقون الصعداء، وانطلقت سياراتهم التي تكدست تكدسًا كبيرًا في

سرعة – تحسبًا لمرور موكب جديد لا قدر الله – ، و لم ينس بعضهم التقاط صورة بهواتفهم المحمولة لجثة رجـــل القـــانون المغطاة بالجرائد،وأخيرًا جاءت سيارة الإسعاف بعـــد نـــصف ساعة ، ليترل منها مسعفان،حملا جثة رجل القـــانون ، مـــن ركن المخلفات القذر،و ادخلا الجثة داخـــل الـــسيارة،لتنطلق السيارة إلى المشرحة ، و عاد الميدان مرة أخرى لوضعه المعتاد ، ساحة من الفوضى المرورية ، لكنة – أي الميدان– فقد شيئًا في هذا اليوم ، فقد الميدان و ربما البلد شيئًا هامًا كان ربما يساعد و لو بالقليل في التحكم في النظام،و الأمان،والعدالـــة و ردع المخالفين ، فقد القانـــون .. رجل القانون .

انهیار



ضغط وليد على دواسة الوقود في قوة ، ليزيد من سـرعة السيارة ، كان متجهًا لمترله في مدينـة نـصر ، قادمًـا مـن بورسعيد، حيث كان هناك يبرم صفقة لشركته أنهاها بنجـاح وعاد في سرعة للقاهرة على غير المتوقع،وأثناء قيادته لـسيارته، أخذ بين الحين و الحين يتأمل الفستان الذي ابتاعه من بورسعيد في سعادة ، كان هدية لمنى زوجته بمناسـبة عيـد زواجهمـا السابع، كان لونه أزرق ، اللون الذي تفضله منى ، لذلك فقد رجح أن الفستان سيروق لها،وقبل وصوله للمترل، انقبض قلبه، فقد رأى عربات إسعاف،وشرطة،ومطافئ تتجه نحو الطريـق الواقع فيه مترله،فسار بسيارته متمهلاً،حتى انحنى نحـو طريـق مترله،وما فعل ،حتى اتسعت عيناه في ذهول ، فما كان أمامه كان يصعب عليه أن يصدقه أو يتخيلـه، فقـد رأى البنايـة السكنية التي يسكن بشقة فيها شبه منهارة ،و الغبار يغلفها في كثافـة ،وعـشرات مـن عربـات الإسعاف،والـشرطة ، والمطافئ متوقفة على بعد أمتار من أمام البناية،فوصل بالسيارة لموقع الحادث،و نزل منها ، ووقف يتأمل ما يحدث في ذهـول غير مصدق لما يحدث،حتى اقترب منه أحـد جيرانـه بالبنايـة و قال له في أسى :

- حدث كل شئ في ثوان ،حدث كل شئ في ثوان .

نظر له وليد و قال له في ذعر :

- هل من ناجين ..؟

قال له جاره بنبرة يغلفها حزن :

- حتى الآن تم انتشال تسع جثث ، أما عن الباقين فلا أعرف عن مصيرهم شيئًا،وإن كنت أرجح أن ترتفع نسبة القتلى ،أنت تعرف الساعة الآن الخامسة موعد عودة الجميع من أعمالهم

- متى ، متى ، متى ..!؟

صرخ وليد باسم زوجته بلهجة يشوبها القلق و الذعر ، وأسرع نحو باب البناية ، فاستوقفه أحد رجال الدفاع المدني قائلاً له في غلظة :

- إلى أين تذهب ..؟

صرخ وليد في وجهه قائلاً :

- زوجتي بالطابق الثالث ، أريد أن أطمئن عليها .

قال له الرجل في صرامة :

- البناية تنهار يا أستاذ .. أصبح انهيارها بالكامل وشيك في أي لحظة ، ستعرض حياتك للخطر بالصعود هناك ، اطمئن قوات الدفاع المدني ستتكفل بالأمر و ....

لم يسمع وليد باقي كلمات الرجل ، فقد انـــدفع لـــداخل البناية ، تلاحقه صرخات الرجل ، و نظرات الذهول من الناس الذين تجمعوا حول البناية التي انهار نصفها ، و صـــعد وليـــد الطابق الأول في حذر،حتى وصل للطابق الثاني الذي تقع بـــة شقته،وعندما فتح باب الشقة شهق في ذعر ، فقد انهار نصف سقف الصالة،وتتدلت الأسياخ الحديدية منه في مشهد مخيـــف، ورقدت جثة أحد جيرانة بالأعلي فوق الركام، وقد ازرق لون جسده ، و لطخت الدماء وجهه ، فأسرع وليد يبحث عن مني في الشقة و هو يناديها ، حتى فتح باب حجرة النوم ، و هـــو يدعو الله أن تكون على قيد الحياة ، و لما دلـــف للحجـــرة ، اتسعت عيناه في ذعر ، فقد انهار أحد الأعمدة الخرسانية علي الفراش و سحقه تمامًا ، و اقترب وليد من الفراش ، و لما اقترب منة تطلع في دهشة للفراش ، فقد شاهد رأسين وسط الأنقاض، و لما دقق و أمعن النظر فيهما ، اتسعت عيناه في ذهول ، و هز رأسه و كأنه لا يصدق ، فعلى الفراش كانت مني زوجتـــه ، و كان إلى جوارها خالد شقيقه و قد تهـــشمت جمجمتـــه ، عاريان تمامًا إلا من قطعتين من ملابسهما الداخلية ، فوضـــع وليد يدة على صدرة و هو يشعر بانقباض في قلبه ، و كـــان ينظر إليهم في ذهول غير مصدق ما تراة عينه ، حـــتى سمـــع الأنين ، كان أنين زوجتة مني ، فاقترب منها وليد ، و تطلـــع

إليها و هي تئن لثوان ، تتنابه مشاعر عدة تـــتلاطم داخلـــه ، مشاعر كراهية ، غضب ، ثورة ، ذهول ، دهـــشة ، حــب ، خليط من المشاعر المتنافرة الغريبة ، حتى نظـــرت مـــنى لـــه ، و تطلع الاثنان لبعضهم سويًا ، و لم ينبس أي منهم بكلمـــة واحدة ، كان الموقف واضح المعالم لا يحتاج لأقـــل كلمـــة أو تعبير ، أو تفسير ، كانت لغة العيون تعبر عن ما يكتنفهما من مشاعر ، غير أن شفتي منى انفرجت لتقول كلمة ما ، ودت أن يساعدها و يخرجها من وسط السقف المنهار ، ودت أن تفسر له الموقف ، من يعرف ماذا كانت تريد ،لم يترك لهـــا وليـــد الفرصة ، كانت نفسه في هذة الأثناء بالذات تشتعل كراهية ، وغضب ، وثورة ، و اشمئزاز ، لذلك فقد تنـــاول مـــن أرض الحجرة قالب خرساني ضخم كان قد سقط من سقف الحجرة، ورفعة عاليًا في الهواء،ولثوان نظر لمنى بعينيه،فنظرت له في ذعر وبعيون تفيض بالدموع،و لم تمتلك أي قدرة علـــى الـــصراخ ، حتى هوى خالد بالقالب على رأس منى في قـــوة ، و أخـــذ يهوي بالقالب الخرساني على رأسها في غضب و مقت شديد ، و لم يتوقف حتى أصبح بعد قليل يهوي بالقالب علي جمجمـــة مسحوقة تمامًا مختلطة بالمخ،و عند ذلك ترك القالب ، واســـتند على الحائط يسعل بقوة و يلتقط أنفاسه ، و في هذه اللحظات، تتابعت في عقله العديد من الصور و الأحداث ، لقـــاؤه بمـــنى

للمرة الأولى، عشقه وحبه لها ، حفل زفافهما ، شهر العسل ، شقيقه خالد و ما كان يجمعه به من حب و تفاهم ، كلمات الحب و الرومانسية التي تقولها له منى في أداء تمثيلي رخيص حقير ، و هكذا ، تزاحمت في ذهنه تلك الصور و الأحداث ، للدرجة التي جعلته ينسى البناية التي بدأت في الاهتزاز من جديد و الانهيار الكلي ، لكنه لم يكترث لذلك ، بقى في مكانه يجتر ذكرياته في مرارة ، حتى بعدما انهار الجدار في عنف و دوي عنيف عليه، و أحس بروحة تذهب عن جسده.

للتواصل و إبداء الرأي و الاقتراحات

Amrmagdy١٩٨٠@yahoo.com

الفهرس